العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة الايوبية والخوارزمية (*)

الباحث/ محمد راشد خلفان النقبي
طالب دكتوراه قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

أ.د. مأمون عبد الكريم
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

أ.د. محمد مؤنس عوض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

الملخص:

تسببت الخلافات التي سادت بين الملوك الأيوبيين في (مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة)، في إضعافهم جميعًا، هذا من جهة، وفسحت المجال أمام قوى أخرى أن تستغل ذلك لمصلحتها من جهة ثانية، وإذا كانت التحالفات الداخلية التي دأب على عقدها الملوك الأيوبيون ضد بعضهم الآخر تعد سمة مميزة لتلك النزاعات في مراحلها الأولى؛ فالمراحل اللاحقة منها كانت قد شهدت لجوء بعض أولئك الملوك للتحالف مع القوى الخارجية بل ومع الصليبيين الأعداء التقليديين للمسلمين، والاعتماد عليهم لتهديد السلطنة، وقد جرت تلك السياسة عواقب وخيمة على الأيوبيين بصورة عامة؛ إذ اضطر بعض سلاطين البيت الأيوبي للتنازل عن بعض ممتلكاتهم، نظير البقاء على كرسي السلطنة وضمان بقائه، ومن هذه القوى الخوارزميون، الذين كان وجودهم طارئًا على المنطقة، بوصف ذلك نتيجة مباشرة لحركة التوسع المغولي، بعد أن دمر جنكيزخان دولتهم خلال سنتي ٦١٧-٦١٨هـ/ ١٢٢٠-١٢٢١م[1].

وفى هذا البحث، سوف نتناول طبيعة العلاقات بين الدولتين الأيوبية والخوارزمية، من حيث العلاقات الدبلوماسية والصدام العسكري من حيث أسبابه ونتائجه.

كلمات مفتاحية:الخوارزمية –صلاح الدين – جلال الدين منكبرتي – النسوي – السفارات – العلاقات

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٤١)، يوليه ٢٠٢٤.

Astract :

Differences prevailed between the Ayyubid kings in (Egypt, the Levant and the island region), has weakened them all, this on the one hand, and allowed other forces to exploit this for their benefit on the other hand, and if the internal alliances that the Ayyubid kings have been holding against each other is a distinctive feature of those conflicts in their early stages, the later stages of them had seen the resort of some of those kings to ally with external powers and even with the Crusaders, the traditional enemies of Muslims, and use them to threaten the Sultanate, This policy had serious consequences for the Ayyubids in general, as some of the sultans of the Ayyubid house were forced to give up some of their possessions, in exchange for retaining the seat of the Sultanate and ensuring its survival, and among these forces were the Khwarizmians, whose presence was emergency in the region, as a direct result of the Mongol expansion movement, after Genghis Khan destroyed their state during the years 617-618 AH / 1220-1221 AD.

In this research, we will deal with the nature of relations between the Ayyubid states and the khowarizm, in terms of diplomatic relations and the military clash, its causes and consequences.

Keywords:

khwarazim - Salah al-Din - Jalal al-Din Mankabarti - Alnswei - Embassies - Relations

إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية الرئيسية في هذا البحث فيما يلي:

– ما طبيعة العلاقات الأيوبية الخوارزمية؟ وهل كانت بغرض الدفاع المشترك أم المصلحة؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات من أهمها:

*** هل تميزت العلاقات بين الدولتين بأنها كانت تسير على وتيرة واحدة؟**

*** هل حققت السفارات الدبلوماسية بين الدولتين أهدافها المنشودة؟**

***هل ساعدت الظروف السياسية على ظهور الدولة الخوارزمية على مسرح الأحداث؟**

*** ما الدور الذى لعبه الجنود الخوارزميون في البلاط الأيوبي؟**

أهمية البحث وأهدافه:

ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يلقي الضوء على علاقة بني أيوب بالخوارزمية، كما يبرز البحث تحالف القوى الأخرى كالسلاجقة وغيرهم، واختلاف مواقف هذه القوى من الأيوبيين في شمال الشام والجزيرة، حسب ما تمليه مصلحة دولتهم وظروفهم السياسية وطبيعة حكمهم، كما أن لهذا الموضوع أهمية بالغة؛ لأن أغلب الدراسات التاريخية الخاصة بالدولة الخوارزمية قد تركزت حول الجوانب السياسية والعسكرية دون غيرها، بينما ما تزال فترات هذه الحقب التاريخية يكتنفها الغموض، وخاصة علاقة الدولة الخوارزمية بالممالك الأيوبية فى الشام والجزيرة.

ويمكن حصر أهداف الدراسة فيما يلي:

- إلقاء الضوء على العلاقة بين الدولة الأيوبية والدولة الخوارزمية، وطبيعة تلك العلاقة وفقًا لمصلحة كل دولة والظروف السياسية وطبيعة حكم كُلٍّ منهم.

-إبراز دور التقارب السياسي بين الدولتين الأيوبية والخوارزمية.

-تسليط الضوء على التحالفات السياسية للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، ودورها فى توطيد علاقته السياسية بحكام الدول المعاصرين له.

-إلقاء الضوء على بعض جوانب الصراع بين الدويلات الإسلامية لتلك الفترة.

-معرفة أسباب وجود سفارات دبلوماسية بين الدولتين الأيوبية والخوارزمية؟

نطاق البحث:

يمتد نطاق البحث حيث حدود الدولة الأيوبية والتي تشمل (مصر وبلاد الشام)، والدولة الخوارزمية ونطاقها (بلاد ما وراء النهر ووسط آسيا).

الدراسات السابقة:

يلاحظ أن هناك قلة في المصادر الخاصة بالعلاقات بين الدول لتلك الفترة، وكذلك هناك شح في الدراسات الحديثة، وما زاد الأمر صعوبة هو تشتت المعلومات في المصادر المختلفة لتلك الفترة، وحسب اطلاعنا وما وصلت إليه أيدينا حول موضوع البحث، فإن هناك بعض الدراسات وهى كالآتي :

وفيما يخص المراجع تأتي مؤلفات ومقالات:

- المستشرق والمؤرخ الروسي الشهير (فاسيلي فلاديميروفيتش بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠م/١٢٥٦-١٣١٧هـ) في مقدمة المراجع التاريخية حول تاريخ ما وراء النهر مثل: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي.

وقد أفادني فى دراسة أحوال ما وراء النهر وتناول الحديث عنه من مختلف النواحي الجغرافية والسياسية والاجتماعية والثقافية للدولة الخوارزمية الاعتماد على المصادر المهمة المدونة باللغات العربية، والفارسية، والتركية، والأجنبية.

ومن المراجع الحديثة كتاب:

-نافع توفيق العبود، **الدولة الخوارزمية نشأتها ونظمها الاقتصادية والسياسية والعسكرية**، وقد أفادني هذا المرجع عند الحديث عن الجانب السياسي للدولة؛ حيث نجد أنه قد تعرض لموضوع العلاقات السياسية مع الدولة الأيوبية.

- عفاف صبرة، **التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية**، وقد أفادنى هذا الكتاب بأن حمل بعض الإشارات البسيطة عن التحالفات السياسية بين الدولتين الأيوبية والخوارزمية.

ومن الأبحاث الحديثة، بحث بعنوان:

- الخوارزمية عامل قوة أم عنصر ضعف بين بلاد الشام وإقليم الجزيرة، للباحث موسى مصطفى الهيستياني، ونشر بمجلة كلية الآداب، قسم التاريخ، ليبيا، ٢٠٠٦، وقد أفادنى هذا البحث فى دور الجنود الخوارزمية فى البلاط الأيوبي .

هناك دراسة مهمة بعنوان "علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى في بلاد الشام (٦٢٤ هـ - ٦٤٥ هـ/ ١٢٢٧ - ١٢٤٧ م)" للباحث عايد عبد الرازق بن عبد الله الغريبي: ماجستير، جامعة أم الفرى، ١٩٩٦م، وقد تناول الباحث في هذه الدراسة العلاقات السياسية للدولة الخوارزمية مع القوى الإسلامية فى بلاد الشام، وقد تعرض الباحث للعلاقات بين الدولتين الايوبية والخوارزمية

***مصادر البحث:** ومن أهم المصادر التى اعتمد عليها الباحث فى هذا البحث على سبيل المثال لا الحصر:

-الكامل في التاريخ: لمؤلفه ابن الأثير، (ت٦٣٠هـ-١٢٣٣م):

يعد من أهم المصادر التاريخية التي تطرقت إلى أحوال بلاد ما وراء النهر ولا سيما السياسية.

وقد أفادنى هذا المصدر فى موضوع العلاقات السياسية بين القوى السياسية من خلال ذكر المصاهرات السياسية التي جرت بين الأُسر الحاكمة في خراسان وما وراء النهر.

-ومن أهم المصادر لموضوع البحث كتاب "زبدة الحلب من تاريخ حلب

"**لمؤلفه أبو القاسم كمال الدين عمر والمعروف بإبن العديم**، وتعد كتابات ابن العديم ثروة تاريخية مهمة، ويقع هذا الكتاب فى نحو أربعين مجلدًا ضاع معظمها ولم يبق سوي عشرة مجلدات، ولقد أفاد البحث من كتاب زبدة حلب الجزء الثالث، حيث ألقي الضوء على علاقات الأيوبيين والخوارزميين فى الفترة ما بين ٦٢٨هـ إلى سنة ٦٤١هـ، كما قدم تفاصيل دقيقة عن الحروب ما بين الخوارزميين والصليبيين والخوارزميين والدولة الأيوبية.

***بروز نجم الدولة الخوارزمية**[٢]:

بدأ نجم الدولة الخوارزمية بالسطوع على حساب القوى الأخري مثل السلاجقة التي دب في أوصال دولتهم الضعف إثر وفاة ملكشاه[٣]، وكذلك الدولة الغورية والتي كانت تسيطر على مناطق شمال الهند وأجزاء من خراسان، هذا فضلًا عن دولة القرخطائيية الذين كانوا يسيطرون على مقدرات الأمور في الناحية الشرقية فضلًا عن السلطة الشرعية للخلافة العباسية التي كانت تشكل عائقًا آخر أمام تحركات الخوارزميين[٤].

فبدأ الخوارزميون بتحطيم قوة السلاجقة في عهد السلطان سنجر[٥] الذي أنهكته الحروب والثورات المستمرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر [٦]، فقد بدأ أتسز بن محمد بن أنوشتكين[٧] يعمل على توسيع رقعة ممتلكاته، ويبدو أن الأوضاع السياسية كانت في خدمته حيث اتحدت أهداف القرخطائية مع أهداف أتسز التوسعية، ما جعله يتزوج من هؤلاء القوم، وبهذا التحالف استطاع الخطائيون أن يوقعوا الهزيمة بسنجر، وأن يستولوا على ما وراء النهر[٨].

ويمكن القول بإن الدولة الخوارزمية بلغت أقصى اتساعها أثناء عهد علاء الدين محمد تكش (٥٩٣هـ-٦١٣هـ/١١٩٦-١٢١٦م)، فضم إلى مملكته أراضي دولة الغوريين في أفغانستان، وتوسع في بلاد ما وراء النهر حتى بلغ أطراف منغوليا في الشرق، وقضى على القرخانات في سمرقند سنة

(٦٠٥هـ/١٢٠٨م)[٩]، واستطاع أن يجعل دولته مسموعة الكلمة بين أوساط الخلافة في بغداد، ولعل خير دليل على ذلك هو استنجاد الخليفة الناصر لدين الله بالخوارزمية لتخليصهم من حكم طغرل بك آخر السلاطين السلاجقة في العراق، وهذا إن دل فإنما يدل على عظمة شان الدولة الخوارزمية، وبعد أن تخلص خوارزم شاه تكش من السلطان السلجوقي طغرل بك ولاه الخليفة ما كان بيد السلطان السلجوقي[١٠]. واستطاع خوارزم شاه تكش تحدي جنكيز خان [١١] زعيم القبائل المغولية، وبقيَ الخوارزميون يحكمون المشرق الإسلامي كقوة إسلامية وحيدة حتى مجيء المغول، حين تلقى جيوش الخوارزميين بقيادة جلال الدين منكبرتي هزيمة قاسية، وذلك في المعركة الحاسمة التي دارت رحاها على ضفاف نهر السند يوم الأربعاء المصادف للعشرين من شوال عام (٦١٤هـ/١٢١٧م) [١٢]، وهناك من يذكر حدوث المعركة في شهر رجب، وعلى إثرها تقهقر السلطان جلال الدين منكبرتي إلى بشاور[١٣]، وهكذا طُوِيَت صفحة الدولة الخوارزمية وبدأ معها عهد جديد وهي عهد المغول.

ويمكن تقسيم العلاقات بين الأيوبيين والخوارزميين إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التقارب السياسي:

أخذت الدولة الخوارزمية في التوسع واكتمل نموها في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، الذي حرص على توطيد علاقته السياسية بحكام الدول المعاصرين له[١٤]، ومنهم الملك العادل الأيوبي – حاكم الدولة الأيوبية (٥٩٦-٦١٥هـ/١٢٠٠-١٢١٨م) الذي حرص هو أيضًا على كسب ود السلطان الخوارزمي، خوفًا من بطشه لما لمسه فيه من فرض نفوذه السياسي على جميع القوى المعاصرة له[١٥].

وحدث تقارب سياسي بين الدولتين مثلما هو الحال بالنسبة لنزاع الأخوين الملك الأشرف موسى (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٧م) وأخيه الملك المعظم

عيسى (ت٦٢٤هـ/١٢٢٦م) من جهة، وأخيهما السلطان الملك الكامل محمد من جهة أخرى، إذ عقد الأشرف موسى والمعظم عيسى حلفًا مع خوارزمشاه منكبرتي ضد السلطان الكامل الذي كان يواجه في الوقت ذاته حملة صليبية سادسة عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) يقودها فردريك الثاني النورماندي ملك صقلية، لذا اتجهت نية الكامل إلى مهادنة الصليبيين متنازلا لهم في ٢٢ ربيع الأول (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عن بيت المقدس، من أجل التفرغ لمواجهة أخويه في الشام[١٦]، ومع تولية الملك الصالح نجم الدين أيوب حكم البلاد الشرقية [١٧] سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م[١٨]، أصبح محاطًا بالأعداء، بسبب الصراع الذي كان قائمًا بين والده الملك الكامل (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) سلطان مصر من جهة، وأقربائه الأيوبيين في بلاد الشام وإقليم الجزيرة[١٩]، فضلًا عن الأراتقة، وسلاجقة الروم[٢٠] من جهة أخرى، فوجد في استمالة الخوارزميين إليه بعد مفارقتهم لسلطان سلاجقة الروم فرصة للإستعانة بهم ضد منافسيه وخصومه فاستدعاهم بعد أن أذن له والده، ومنحهم الإقطاعيات بالجزيرة، ونجح في إطلاق سراح مقدمهم حسام الدين بركة من الاعتقال، لدى غياث الدين كيخسرو[٢١] سلطان سلاجقة الروم، محققًا بذلك تقاربًا اكثر معهم، فازداد قوة بهم[٢٢].

***التحالفات السياسية بين الدولة الأيوبية والدولة الخوارزمية:**

-تحالف المعظم عيسي صاحب دمشق مع السلطان جلال الدين منكبرتي:

نجح الملك المعظم صاحب دمشق في تشكيل حلف دفاعي مع السلطان جلال الدين منكبرتي، وكان أقطاب هذا الحلف جلال الدين منكبرتي ومظفر الدين صاحب أربل وناصر الدين صاحب ماردين[٢٣]، كما انضم إليه صاحب آمد واستهدف الموصل وبلادها[٢٤]، وتم توزيع الأعمال بين أقطاب الحلف، وذلك بأن يقوم جلال الدين بمهاجمة مدينة أخلاط وهي من أملاك الملك

الأشرف في حين يتقدم مظفر الدين بإتجاه الموصل لإحتلالها، ويقوم الملك المعظم بمهاجمة حمص وحماة، وذلك من أجل فتح عدة جبهات للقتال، حتى يصعب اجتماع عساكر شمال الشام والجزيرة على قتالهم ومواجهتهم، في حين ضم الحلف المقابل الملك الأشرف وبدر الدين لؤلؤ[٢٥] صاحب الموصل وصاحبي حمص وحماة، ولما تقدم مظفر الدين صاحب أربل نحو الموصل كان بدر الدين قد أرسل من الموصل إلى الملك الأشرف يستنجده وهو نازل في الرقة ليدفع عن الموصل الخطر، فأجابه وتقدم إلى حران[٢٦] ودنيسر[٢٧] ونزل على ماردين، فخربها وكان المعظم نازلًا هو الآخر على حمص وحماة، فأرسل إلى مظفر الدين كوكبري[٢٨] بأن يتراجع عن بلد الموصل، فوصل الأشرف عن ماردين وعاد كل منهم إلى بلده، وكان من نتائج هذا التحرك أن خربت أعمال الموصل وأعمال ماردين[٢٩].

وترجع أسباب ذلك التحالف إلى حدوث الخلاف بين ملوك البيت الأيوبي؛ الكامل محمد صاحب مصر (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م)، والمعظم عيسى صاحب دمشق وما جاورها (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٢٧م)، والأشرف موسى مظفر الدين صاحب الجزيرة الفراتية وميافارقين[٣٠] وما جاورها[٣١]. ويُرجع ابنُ واصل سبب الخلاف إلى أنَّ الأشرف موسى توجّه لزيارة أخيه الملك الكامل محمد في مصر دون أن يخبر المعظم عيسى، فظنَّ المعظمُ أنّ الأشرف يسعى إلى الإيقاع به؛ لذلك بادر إلى تكوين حلفٍ مناهض لإخوته وتحالف مع السلطان جلال الدين منكبرتي وأطمعه في الاستيلاء على مدينة خلاط، وهي في ذلك الوقت من ممتلكات الملك الأشرف[٣٢]. ولعلَّ السبب في ظهور هذه التحالفات يكون أقوى من مجرّد الزيارة التي أشار إليها ابن واصل، ولربّما كانت حرب الوراثة المستحكمة بين الإخوة على الحدود والممتلكات دافعًا وراء ذلك، وفي سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) تحرَّك السُّلطان جلال

الدين نحو أخلاط وحاصرها حصارًا شديدًا، لكنه تراجع عنها بسبب شدة البرد وتساقط الثلوج(٣٣).

والجدير بالذكر أن مخاوف الدولتين الأيوبية والسلجوقية (زادت) بعد المراسلات التي أجراها الملك مسعود بن الملك الصالح الأرتقي صاحب آمد(٣٤) في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) مع الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والسُّلطان جلال الدين منكبرتي يحرضهما على الملك الأشرف موسى والسُّلطان علاء الدين كيقباذ، وقد تكفَّل بإمداد الخوارزميين بخمسة آلاف فارس لمساعدتهم في غزو بلاد الروم(٣٥)، وقد أرسل الملك الأشرف إلى السلطان علاء الدين كيقباذ يطلب منه أن يتوجه إلى آمد، لتأديب اصاحبها بعد خروجه على الملك الأشرف، وقد استجاب السُّلطان علاء الدين وسار بعساكره السلجوقية، فأخضع مدينة آمد وبعد مدة رجع صاحبها إلى طاعة الملك الأشرف، الذي طلب بدوره من السُّلطان علاء الدين أن يسحب جيشه من آمد، فامتنع واعتبر ذلك استهانة به، ووردت على لسانه عبارة "**ما كنتُ نائبًا للأشرف يأمرني مرَّةً وينهاني أُخرى**"(٣٦).

أدَّى هذا الموقف إلى تأزم العلاقات الأيوبية – السلجوقية، وتزامنت مع ذلك المصالحة بين الأخوين الأشرف موسى والمعظم عيسى، فوجد السلاجقة أنفسهم دون حليف، كما تضرّرت مصالح الخوارزميين، فسعى سُلطانهم جلال الدين منكبرتي إلى الاتصال بنظيره السلجوقي علاء الدين كيقباذ ليحول دون انضمامه إلى الأيوبيين(٣٧).

*** تحالف سلاجقة الروم مع الأيوبيين ضد جلال الدين ونتائجه**

بدأ هاجس الخوف والقلق يدب في نفوس حكام المسلمين المجاورين لجلال الدين منكبرتي(٣٨)، فبادر سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ بإرسال رسله إلى جلال الدين منكبرتي أثناء حصاره لخلاط، وكان معهم هدايا

وتحف فانطلقوا حتى وصلوا إلى أرزنجان[٣٩] فمنعهم صاحب أرزن الروم (ركن الدين جهانشاة)[٤٠] من الوصول إلى جلال الدين، وقد كان مجاهرًا بعداوة جلال الدين وعداوة سلطان الروم وموالياً للملك الأشرف[٤١].

ويرى أحد الباحثين أن الهدف من إرسال الرسل من قبل سلطان الروم هو محاولة إقامة تحالف بينه وبين جلال الدين منكبرتي لتوحيد القوى الإسلامية ضد القوات المغولية القادمة من الشرق[٤٢]. ولم يحسن أتباع جلال الدين استقبال رسل صاحب الروم لعدم رغبتهم في مصافاته ولإحتقارهم لما أحضره أولئك الرسل من هدايا وألطاف وأخذ الرسل في عرض طلباتهم على جلال الدين، ومن ذلك أنهم خطبوا ابنة جلال الدين لابن صاحبهم تأكيدًا للألفة، وإزالة الوحشة والفرقة فلم يتم لهم ذلك، ومنها أنهم طلبوا من جلال الدين أن يأذن لهم في السيطرة على أرزن الروم، وأن يسلم صاحبها إليهم لينتقموا منه، فغضب جلال الدين ورفض اقتراحهم وقال "**هذا المذكور المطلوب، وإن هتك معي ستر الأدب ورفع حجاب الحشمة، فقد دخل على دخول العرب، وقبيح بمثلى إحقار حق مقدمه وتسليمه إلى من يعطش إلى دمه**"[٤٣].

وعلى أية حال عادت رسل سلطان الروم دون تحقيق الهدف المنشود وأخبروا سلطانهم بما حصل لهم من التوبيخ والتقريع والتهديد وعدم الرغبة في إحلال الود والتعاضد معه[٤٤] .

والواقع أن هذا العمل الذي أقدم عليه الخوارزميون كان السبب الذي دفع حاكم الروم إلى تأليب الحكام المسلمين المجاورين ضد جلال الدين الذين أفزعتهم الأعمال الهمجية التي أقدم عليها أتباعه في كثير من البلدان التي دخلوها وكان آخرها ماحل بأخلاط وأهلها.

كما أرسل سلطان الروم رسالة إلى جلال الدين منكبرتي تحمل في طياتها تهديده وتحذيره من مغبة أعماله، حيث قال فيها عن قوة البيت الأيوبي ما

نصه: "ولهم الأموال والبلاد والرجال والأولاد والقوة وأنت فلا أموال ولا رجال ولا قوة، وبلادك خربة ونحن نعرف حالك أكثر منك ولا تظن أبي عدوهم لا والله بل صديقهم ونسيبهم بما بيننا من الأهلية والمصاهرة واختلاط الدم، ولعمى معز الدين منهم الأولاد، ولى منهم الأولاد ولا شك جرى بيننا قضية عاتبتهم عليها وعدنا إلى ما كنا عليه فلا تعتقد غير هذا، والمصلحة عندي نصحك، فتصالحهم وتعتد بهم أصدقاء، فكان الجواب أن قال لرسولي "عد إلى صاحبك والجواب يصل مع قاصدي"(٤٥).

***العلاقات الدبلوماسية:**

***السفارات بين الدولتين:**

بدأت العلاقات السياسية بين الدولتين الخوارزمية والأيوبية عام ٦١٥هـ/١٢١٨م، حيث أرسل علاء الدين محمد خوارزمشاه (٤٦) مبعوثًا من قبله إلى الملك العادل كانت غايته إقامة علاقة وديَّة بين الجانبين، فاستجاب له الملك العادل(٤٧)، وهو بمرج الصفر(٤٨)، ولم تذكر المصادر التاريخية هدف الزيارة التي قام بها مبعوث خوارزم شاه إلى الملك العادل ولكنها ربما كانت تتعلق برغبة الخوارزمية بإقامة علاقة مع بنى أيوب أو من أجل التحالف معهم بخاصة بعد فشل سلطانهم خوارزم شاه في غزو بغداد سنة ٦٢٤هـ/ ١١٢٧م(٤٩)، فقام الملك العادل بالرد على رسالة خوارزم وأوفد جمال الدين محمد الدولعي(٥٠) خطيب دمشق ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر فوصلا إلى همدان(٥١)، ولكنهما لم يلتقيا به لأنهما وجداه قد اندفع لمواجهة المغول فاكتفيا بالإجتماع مع ولده جلال الدين، وهناك سمعا بوفاة العادل(٥٢) فعادوا إلى دمشق دون أن تحقق سفارتهما هدفها المنشود(٥٣).

ولعل هذا السبب جعل العلاقة لا تتطور بينهما، فقد اشتغل كل من الدولتين بالأخطار الخارجية التي أصابت المشرق الإسلامي، فانشغلت الدولة

الخوارزمية بصد الهجوم الذي بدأ يصيبها في الوقت الذي كانت الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العادل تهتم بمواجهة العدوان الصليبي عند مصر، وبعدها انشغلوا بالنزاع الذي حصل في البيت الأيوبي والذي كان لاحقا سببًا في إعادة بناء العلاقات بين الدولة الخوارزمية والملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب دمشق(٥٤)، كما أن ملوك بني أيوب اتحدوا فيما بينهم لصد الحملة الصليبية(٥٥).

وهناك سفارة أخري عندما علم الملك المعظم عيسى باتفاق أخويه الملك الكامل محمد صاحب مصر، والملك الأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية وسنجار وخلاط وأعمالها، حيث كاتب جلال الدين خوارزم شاه وبعث إليه سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م رسوله الصدر البكري محتسب دمشق ومعه جماعة من الصوفية واجتمع بالسلطان جلال الدين وقرر معه الأمور وجعله سندًا للملك المعظم(٥٦)، ولما علم الملك الكامل والأشرف عن تحالف أخيهما المعظم مع جلال الدين قيل للمعظم، "**لو كنت بعثت برسالة مع بعض التجار الذين يسافرون إلى خراسان** كان أولى"(٥٧).

ولكي لا يثير المعظم شكوك أخويه تظاهر أن مهمة الرسل هي إحضار طائر السمرمر(٥٨)، من بلاد العجم، كي يقضي به على الجراد الذي ظهر بكثرة في بلاد الشام، وأكل الزرع، والشجر، والثمر(٥٩)، لكن أبا شامة(٦٠) قد أكد على الهدف الحقيقي وهو رغبة المعظم عيسى في محالفة السلطان جلال الدين فقال: "**وما كان مقصوده إلَّا أن يبعث البكري إلى جلال الدين خوارزمشاه ليتفق معه لما بلغه اتفاق أخويه الكامل والأشرف عليه، فاجتمع البكري بالخوارزمي، وقرر معه الأمور، وجعله سندًا له**" .

ولما اجتمع البكري مع جلال الدين اتفقوا فيما بينهما، وبذلك أصبح السلطان الخوارزمي سندًا للملك المعظم، وعلم الجميع بذلك عندما أرسل هذا

الأخير سفارة إليه ليطلب دعمه[٦١]. ومن العجيب أن الجراد كان قد قل ببلاد الشام، فلما عاد البكري كثر الجراد وافتضح أمر الملك المعظم [٦٢]، وعندما عاد البكري من مهمته كافأه المعظم على ذلك وولاه مشيخة الشيوخ، إضافة إلى الحسبة[٦٣].

وإذا كان من الطبيعي أن تتأخر مساندة السلطان جلال الدين الخوارزمي للملك المعظم لبعد المسافة بينهما، فلا غرابة أن يلجأ الملك المعظم عيسى إلى مناورة جديدة تقضى بإشغال أخيه الملك الأشرف موسى عن مساندة الملك الكامل وابنه الملك (إقسيس) الذي قدم من اليمن طامعًا في أخذ دمشق والشام، فعمد إلى إثارة أخيه المظفر غازي ضد الأشرف موسى وحسن له الخروج عليه، حيث كان قد جعله نائبًا عنه بأخلاط وأعمالها وميافارقين وغيرها وكذلك جعله ولى عهده عندما غادر بلاده متوجهًا إلى مصر[٦٤].

وأرسل في الوقت نفسه إلى صاحب إربل مظفر الدين كوكبوري' يدعوه إلى مناصرته والإتفاق معه، وأغراه بمهاجمة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والذي كان يميل إلى الملك الأشرف، فسر مظفر الدين بهذا العرض، وذلك لبغضه الشديد لبدر الدين لؤلؤ والذى كان سببًا في الإجهاز على البيت الأتابكي في الموصل، واحتجازه لولدي الملك القاهر آخر ملوك الأتابكة فسارع كوكبوري في تجهيز قواته لقصد الموصل وحصارها، إذ لم يكن يمنعه في السابق من مهاجمة الموصل سوى خوفه من الأشرف الذي كان سندًا لبدر الدين لؤلؤ[٦٥].

لقد حاول جلال الدين الخوارزمي إيجاد علاقة من التفاهم والوئام مع بني أيوب، ومن ناحيته سعى السلطان جلال الدين في إزالة الخلاف بين أبناء البيت الأيوبي، وإقامة علاقات ودِّية معهم، فأرسل مبعوثًا من قبله هو مجد الدين قاضي الممالك الحنفي إلى الملوك الثلاثة (الكامل والمعظم والأشرف)

وعند وصوله إلى الملك الأشرف، والملك المعظم، أكرما وفادته وأحسنا في عطائه على الرغم من عدم توفيقه في الإصلاح بينهما[٦٦].

وأهم ما ميز علاقة جلال الدين في هذه الفترة مع بني أيوب هو قوة ومتانة علاقته مع الملك المعظم صاحب دمشق دون غيره من ملوك الشام والجزيرة[٦٧]، وقد حرص المعظم عيسى على بقاء تحالفه مع السلطان جلال الدين ليكون عونًا له على أخويه، وكان السلطان جلال الدين راغبًا أيضًا في استمرار هذا التحالف، مستهدفًا من ورائه تكوين حلف ضد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، لكن المعظم عيسى رفض إجابه طلبه، وامتنع عن مساندته في غزو بغداد، ومحاربة خليفة المسلمين[٦٨]، وبالرغم من ذلك ظلت العلاقات الودية قائمة بين الجانبين[٦٩].

ولم تقتصر علاقة جلال الدين هنا بالممالك الإسلامية، بل نجده يأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن أراضي المسلمين ضد اعتداءات الكرج[٧٠] (أو الجرجانيون) المستمرة على الأراضي الإسلامية المجاورة مما أكسبه سمعة طيبة من وجهة النظر الإسلامية، فقبل مجيء جلال الذين كانت غاراتهم المدمرة تثير الرعب والهلع للسكان المسلمين في خلاط وأذربيجان وأران وأرزن الروم وعاشوا تحت الذل والخزي، ولم يتحرك صاحب أذربيجان أزبك بن البهلوان[٧١] لنصرة المسلمين؛ إذا كان منغمسًا في شهواته وملذاته، فنظر الله إلى أهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة فرحمهم ويسر لهم جلال الدين الذي استطاع أن يفتك بالكرج وينتقم للإسلام والمسلمين سنة ٦٢٢هـ[٧٢] .

ولم يتوقف جلال الدين عند هذا الحد بل نجده يعاود الكرة مرة أخرى ويغزو الكرج في عقر دارهم، حيث انطلق بجيوشه إلى أراضيهم في شهر ربيع الأول عام ٦٢٣هـ/ مارس ١٢٦٦م وفتك بعساكرهم ودخل عاصمتهم مدينة "تفليس"[٧٣]، ومع ذلك لم تكن الخلافة العباسية لترضى عن هذه الأعمال التي

قام بها جلال الدين منكبرتي، لخوفها الشديد من تهديدات جديدة لأراضيها يقوم بها هذا الأمير الخوارزمي، فقررت إفساد العلاقة بينه وبين الملك المعظم عيسى، فعندما توفى الخليفة الناصر لدين الله في سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، وخلفه ابنه الظاهر لأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ)، عمل هذا الخليفة على إبعاد الملك المعظم عيسى عن مولاه جلال الدين منكبرتي ومصالحة أخويه الكامل محمد والأشرف موسى، ولهذا الأمر بعث الخليفة الظاهر رسوله محسى الدين بن الجوزي[٧٤] إلى دمشق حاملًا الخلع إلى الملك المعظم وإخوته، ورسالة إلى المعظم جاء فيها "**المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي (يعنى جلال الدين) وترجع إلى إخوتك ونصلح بينكم**"[٧٥].

وقد قام السلطان جلال الدين عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، بإرسال رسول من قبله إلى المعظم عيسى، وعندما وصل هذا الرسول خلع عليه، وأعطاه سنجقًا وخزينتين، وصار المعظم يركب بسنجق الخليفة وسنجق خوارزمشاه في حضور رُسل الخليفة، وقد بلغ من اعتزاز المعظم بالسلطان جلال الدين أنه كان يحلف برأسه في بعض المواقف[٧٦]، فقد ذكر أبو شامة[٧٧]: "**وكان المعظم يلبس خلعة الخوارزمي ويركب فرسه وإذا جلسوا على تلك الحال يحلف المعظم برأس خوارزمشاه**".

ومن ناحيته، كان السلطان جلال الدين يراعى منزلة المعظم عيسى، ويلبي رغباته، وقد استجاب لطلبه ورحل عن مدينة أخلاط بعد مصالحة الأشرف موسى مع أخيه المعظم عيسى، وإعلان طاعته له[٧٨]، وعلى الرغم من عودة العلاقات بين الأخوين فإن المعظم عيسى ظل حريصًا على تأكيد تحالفه مع السلطان جلال الدين، فكان دائمًا يرسل برسله لتوثيق تلك العلاقات الودية بين الطرفين، فقام بإرسال النجم خليل الحموي قاضي العسكر[٧٩] ومملوكه المعروف بالركين وبقيا عند السلطان الخوارزمي مدة تسعة أشهر، وعادا عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م[٨٠].

تبادل الرُّسل وعقد الصلح بين الدولتين:

رغب السلطان الأشرف موسى في مصالحة السلطان جلال الدين منكبرتي عقب إسترداده مدينة أخلاط على أن يقنع كل منهما بالسيطرة على البلاد التي في حوزته، وقد بعث الملك الأشرف بمبعوث من قبله حاملًا رسالة إلى شرف الملك وزير السلطان جلال الدين، يطلب إليه التوسط في إقرار الصلح بينه وبين السلطان جلال الدين(٨١)، وقد ذكر النسوي(٨٢) نص الرسالة بقوله: " **إن سلطانك سلطان الإسلام والمسلمين وسندهم، والحجاب دونهم ودون التتار وسدهم، وغير خاف علينا ما تم على حوزة الإسلام وبيضة الدين بموت والده، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام، وضرره عائد على كافة الأنام. وأنت قد حليت الدهر أشطره، وعرفت نفعه من ضرره. وذقت حلوه ومره، فهلا ترغبه في جمع الكلمة ما هو أهدى سبيلًا... ولم لا تدعوه إلى الألفة التي هي أحمد في البدو والعقبى، وأقرب ما يقربه إلى الله زلفى؟ وها أنا ضامن السلطان من جهة علاء الدين كيقباذ وأخي الملك الكامل ما يرضيه من الإنجاد والإسعاد وإصفاء النيات على حالتي القرب والبعاد، والقيام بما يزيل عارض الوحشة، ويمحو سمة الفرقة**". وعندما عرض الوزير شرف الملك (وزير السلطان جلال الدين منكبرتي) هذه الرسالة على السلطان استحسنها. ثم أخذت الرسل تتردد بين الطرفين حتى عُقد الصلح، وتم تبادل الأسرى(٨٣).

كان السبب الحقيقي الذي دفع الأشرف موسى وغيره من الحكام المسلمين إلى عقد الصلح مع السلطان جلال الدين، هو أنهم وجدوا أن المغول باتوا يهددون أملاك الخوارزميين في فارس، فخشوا أن يستولوا على الدولة الخوارزمية من جديد فتدور عليهم الدائرة بعد ذلك، ولذلك آثروا الصلح على الحرب، لكي ينصرف جلال الدين إلى مواجهة ذلك الحطر المغولي الذي بات يهدد كيانه وكيانهم(٨٤).

- **سفارة السلطان جلال الدين إلى الأيوبيين لتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الخطر المغولي:**

عندما ظهر الغزو المغولي على مسرح أحداث المنطقة من جديد يهددونها بالدمار والخراب، قام السلطان جلال الدين بإيفاد رُسله إلى بعض الحكام الأيوبيين راغبًا في توحيد جبهتهم، والتعاون معه في التصدي للغزو المغولي(٨٥)، ومن هؤلاء الرسل: مختص الدين موسى، الذي أرسله على رأس وفد إلى الملك الأشرف موسى يدعوه إلى توحيد قوتهم للتصدي لهذا العدو الغاشم، إلا أن الأشرف موسى تلكأ ثم توجه إلى مصر لإهدار الوقت على جلال الدين، ووعد مبعوثه بأنه سوف يأتي بعساكره من مصر لنجدة السلطان جلال الدين(٨٦).

كذلك بعث السلطان جلال الدين وفدًا برئاسة محمد بن أحمد النسوي إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل يطلب النجدة منه ومن حكام آمد وماردين(٨٧)، ويحدثنا النسوي(٨٨) عن الرسالة التي كلفه السلطان بتبليغها بقوله: "**قال لي: قل للملك المظفر هلم إليَّ مساعدًا، وفى حادثة التتار معاضدًا، فإن الله جل ذكره إن كان ينصرني عليهم ملكتك من البلاد ما ترى، خلاط ونواحيها التي حسدك أخوك عليها في قبالتها ندرا، ولم تجد عنده قدرًا**".

كان السلطان جلال الدين يتوقع وصول نجدتهم إليه بعد أن وعد المظفر بتمليكه ما يرغب من البلاد في حالة انتصاره على المغول، لكنه تحجج أيضًا بحجج واهية، وادعى عدم قدرته السياسية والعسكرية على تقديم مثل هذه المعونة(٨٩).

وبالرغم من ذلك لم ييأس النسوي من رده بل قام ببذل قصارى جهده لاستمالة الملك المظفر، وأوضح له خطورة المغول عليه وعلى غيره من الحكام المسلمين، وأنهم سوف يتعرضون للخطر نفسه إذا سقط السلطان جلال

الدين[٩٠]، وقد ذكر النسوي ذلك قائلًا[٩١]: "**ولما حضرته للوداع قلت له: لا بد من إحدى الحالتين إما السلطان وإما عليه أيا منهما كانت تعقبكم ندامة، وتورثكم ملامة. قال: كيف ذلك؟ قلت إن كان السلطان وقد قعدتم عن نصرته فلو بذلتم خزائن الأرض في طلب مرضاته لن ينفع، وإن كان عليه فستذكرونه حين تبلون بمجاورة التتار**".

***علاقات المصاهرة:**

رأى الملك المعظم ضرورة توثيق العلاقة بينه وبين السلطان جلال الدين الخوارزمي، وذلك نتيجة لسيطرته وإحكام قبضته على الأقاليم الغربية للدولة الخوارزمية، فوافق السلطان الخوارزمي على طلبه، وذلك لأنه رأى فرصة له لتوسيع نفوذه على حساب البلاد المجاورة له ولتعزيز التحالف[٩٢]، ولتوثيق الروابط بين الطرفين زوَّج المعظم عيسى ابنته من السُّلطان جلال الدين منكبرتي[٩٣]، وربما لم يلجا الملك المعظم إلى ذلك إلا معاندة لأخيه الكامل ولأخيه الأشرف صاحب البلاد الشرقية[٩٤].

***المرحلة الثانية "مرحلة الصدام العسكري":**

في سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) تعرّضت الدولة الخوارزمية إلى هجمات عسكرية من جهة الأيوبيين[٩٥] نتيجة لدعم السلطان جلال الدين أحد الملوك الأيوبيين على حساب الآخر ؛ ونتيجة لذلك وسار الأمير حسام الدين الحاجب علي (نائب أخلاط على ممتلكات الخوارزمية) إلى خوى[٩٦] وسيطر عليها، كما سيطر على مدن نخجوان[٩٧] وأعمالها وغيرها من المدن الخوارزمية وأحدث فيها كثيرًا من التدمير والخراب واستحوذ على الأموال، وأخذ زوجة السلطان جلال الدين وعاد إلى أخلاط[٩٨].

واستمرت العلاقة متوترة بين الملك الأشرف موسى والسلطان جلال الدين الخوارزمي، وأظهر الأخير رغبته في الاستيلاء على أخلاط وما شجعه على

هذا هو انشغال ملوك بني أيوب في الصراع على حكم دمشق لوفاة المعظم، فاتفق الكامل والأشرف على ابن أخيهما الملك الناصر داود[٩٩] بن الملك المعظم صاحب دمشق، وتوجه الأشرف إلى دمشق لحصارها، وجرى القتال بين عسكر الأشرف وأصحاب الناصر وعامة البلد[١٠٠]. وما كان على الناصر داود إلا الاستنجاد بجلال الدين، وسير رسولا إليه ليعلمه أن أعمامه إنما قصدوه لانتمائه هو وأبيه إليه ويحثه بالتوجه إلى أخلاط ومضايقتها، ليشغل الملك الأشرف ويصرف نظره عنه فلما وصل الرسول إليه اهتم لقصد خلاط وحصارها[١٠١]، توترت العلاقات بين السلطان جلال الدين والأشرف موسى لقيام "الحاجب حسام الدين على نائب الأشرف في حكم مدينة خلاط بانتهاز فرصة انشغال السلطان جلال الدين بقتال التركمان، وقام بقصد إقليم أذربيجان[١٠٢] التابع للسلطان الخوارزمي، وتعدى على ممتلكاته[١٠٣]، وعندما بلغ السلطان جلال الدين هذا الخبر قام بقصد مدينة خلاط عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م وبعد حصارها، فشل في الاستيلاء عليها بسبب تساقط الثلوج، فاضطر إلى العودة بعد أن قام جنوده بالسلب والنهب في تلك المنطقة[١٠٤].

الجدير بالذكر أن الملك الأشرف خشي من عودة السلطان جلال الدين لمحاصرة أخلاط للمرة الثالثة، فأراد أن يطيب خاطره، ويظهر له عدم رضاه عن تصرفات نائبه الحاجب حسام الدين علي فأرسل مملوكه عز الدين أيبك، وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين، وبعد أن تمكن من القبض عليه، قام بإرسال مبعوث تركى من قبله إلى السلطان جلال الدين حاملًا رسالة مضمونها الخضوع والإذعان[١٠٥] وقد ذكرها النسوي[١٠٦] بقوله: **(كانت زبدة الرسالة الخضوع والطاعة، وبذل النفس بلسان الضراعة، وأن الملك الأشرف ما أمره بالقبض على الحاجب إلَّا لإساءته الأدب مع السلطان، والتخطي إلى بلاده من غير أمر صدر إليه، وها هو الآن قد ولاني خلاطًا مأمورًا بطاعة السلطان**

واتباع مراده، معدودًا في جملة أعوانه، وأنجاده أسوة بسائر أجناده بعامة بلاده)، وبالغ مبعوث الأشرف موسى في ملاطفة السلطان جلال الدين، لكي يرده عن عزمه في قصد مدينة أخلاط لتأديب الحاجب حسام الدين، فكان ردُّه على رسالة الأشرف موسى: "**إن اردت مرضاتي فابعث إلى الحاجب عليًّا**"، فلما وصل الرسول بهذا الجواب أمر الأشرف موسى بقتل الحاجب حسام الدين على. وبالرغم من ذلك لم يكترث السلطان جلال الدين برسالة الاعتذار، والخضوع والطاعة، ولا بمقتل الحاجب حسام الدين علي، وأصر على ضرورة مهاجمة مدينة أخلاط(١٠٧).

ودخل جلال الدين المدينة وعاث فى الأرض فسادًا(١٠٨)، وليس أدل على ذلك من قول ابن تغرى بردى في وصف جورهم وفسادهم وقتلهم للسكان: "**وأما الخوارزميون فهم تغلبوا على عدة قلاع وعاشوا وخربوا البلاد وكانوا شرًا من التتار لا يعفون عن قتل ولا عن سبي ولا في قلوبهم رحمة**"(١٠٩)، وبعد أن دخل جلال الدين المدينة تسلم القلعة فوقع من الأسرى بيده الملك المعز مجير الدين يعقوب بن العادل ثم أطلقه بعد ذلك (١١٠)، وكان لاستيلائه على أخلاط أثر في تعمير خزانته بالمال(١١١).

تزايد خطر الخوارزمية وتعاظم شرهم بعد ما فعلوه فى أخلاط من سلب ونهب وقتل وعبثهم في البلاد وما لاقته أخلاط على أيديهم، فقد تمكن الملك الأشرف بعد أن اتفق مع علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو على حرب جلال الدين(١١٢)، وكان لقاؤهما في سيواس(١١٣) وسارا معًا إلى أخلاط، والتقيا مع الخوارزمية بناحية أذربيجان سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م، وهناك هزم جلال الدين وفر باتجاه أذربيجان وعادت أخلاط إلى الملك الأشرف ودخلها، ثم ترددت الرسل بينهما حول الصلح فاصطلحا وتحالفا وتقرر فيه لكل واحد منهما ما بيده من البلاد(١١٤)، وأطلق جلال الدين بموجبه أسرى خلاط الذين بحوزته ومن

بينهم، مجير الدين وتقى الدين ابنا الملك العادل من إخوة الملك الأشرف[١١٥].

أما موقف الملك الأشرف من عمل الخوارزمية هذا، فإنه لم يحرك ساكنًا في بادئ الأمر لإنشغاله في أمر دمشق حيث يتسلمها باتفاق مع الملك الكامل ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م إلى جانب توفر الأعذار التي حالت دون قصده لها والدفاع عنها[١١٦].

ثم قصدت الخوارزمية بعد ذلك التوجه إلى حلب، وانضم إليهم جمع غفير يقدر بحوالي اثني عشر ألف فارس[١١٧]، ويزعم البعض أن سبب هذه الحملة على حلب، أن زعيم الخوارزمية محمد تركان خان بن دولة شاه الخوارزمي أرسل إلى زعيم حلب يخطب ابنته فلم يلبِّ طلبه، وأمر بإهانة رسوله، عندئذ خرج إليهم عسكر حلب بقيادة المعظم توران شاه[١١٨] بن صلاح الدين وعسكروا بالنقرة، ثم نقلوا معسكرهم إلى منبج حيث أقاموا بها في انتظار قوات الخوارزمية التي توجهت إليهم في جمع غفير من العرب [١١٩].

ولم يأبه الخوارزميون للجيش الحلبي بل واصلوا مسيرهم إلى الفرات، وعبروا من جسر الرقة[١٢٠] وساروا حتى وصلوا إلى نهر بوجيار[١٢١]، فسمع بهم عسكر حلب وقرروا تغيير معسكرهم، فانتقلوا إلى وادى بزاعا[١٢٢] وأصبح كل من الفريقين يطلب صاحبه"، ولم يكن عسكر حلب في مرحلة تمكنه من الإنتصار على القوات الخوارزمية حيث إن عسكرهم لم يتجاوز ألف وخمسمائة فارس ومع ذلك كانوا متفرقين في الأقطار، فبعضهم كان في نجدة غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم على النتر، وبعضهم كان متحصنًا في قلعة جعبر[١٢٣] لحمايتها من الخوارزمية، والبعض الآخر متفرقون في بقية القلاع التابعة لحلب مثل شيزر[١٢٤] وحارم[١٢٥] وغيرها[١٢٦].

استعد كل من الفريقين لقتال خصمه فأقبلت الخوارزمية مع زعيمهم بركة خان[١٢٧] وتقابل الفريقان في قرية البيرة[١٢٨] في يوم الخميس رابع عشر شهر

ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م "فصدموا عسكر حلب صدمة تزحزحوا لها"[١٢٩]، فاضطربت صفوف الحلبيين لإحاطة العسكر بهم من جميع الجهات، وانهزموا أقبح هزيمة ولم ينج منهم إلا القليل، وكان من ضمن الذين وقعوا في قبضة الخوارزمية قائد القوات الحلبية المعظم بن صلاح الدين وأخوه وأغلب الأمراء، كما قتل الصالح بن الأفضل بن صلاح الدين، ووقعت اثقال العسكر في أيدي "[١٣٠].

تقدمت الخوارزمية بعد ذلك صوب حيلان[١٣١]، وساروا على النهر إلى فافين[١٣٢]، وأخذوا أموال العسكر بتلك المناطق، ولحبهم الشديد لجمع الأموال وخوفهم من الأسرى، أخذوا يقتلون بعضهم ليشتري غيرهم نفسه بماله، فنجا بعضهم وغدروا بالبعض الآخر بعد أن أخذوا منه المال فلم يطلقوه "**وشربوا تلك الليلة وقتلوا جماعة من الأسرى صبرًا**"[١٣٣].

استمر الخوارزمية في مواصلة مسيرتهم الفوضوية فبثوا سراياهم في قرى حلب وضواحيها[١٣٤] وجبل سمعان وطرف العمق وبلد الحوار[١٣٥] وأحاطوا بأهل تلك المناطق إحاطة السوار بالمعصم فلم يستطيعوا الفرار منهم "**وأخذوا من الغنائم من المواشي والأمتعة والنساء والصبيان ما لا يعد ولا يحصى، وفعلوا من ارتكاب الفواحش مع حرم المسلمين ما لا يفعله التتر، ولا غيرهم من الكفار إلا ما سمع عن القرامطة**"[١٣٦]، وانطلق الخوارزمية بعد ذلك صوب بزاعا والباب[١٣٧] وعذبوا أهل هذين البلدين وأجبروهم على إخراج أموالهم التي أخفوها وقتلوا بعضهم ونهبوا كل ما وقعت أيديهم عليه من الأمتعة والأموال، ثم ساروا إلى منبج[١٣٨] فاعتصم أهلها بسور، ولكن الخوارزمية تمكنوا من دخولها عن طريق الأماكن التي لا سور لها ووضعوا السيف في أهل البلد وكان ذلك في يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ، فقتلوا ونهبوا ودمروا واستباحوا الأعراض، بل بلغ بهم الأمر أن جاهروا الله تعالى

بالمعاصي في بيت من بيوته فقد "**التجأ جماعة من النساء إلى الجامع فدخلوا عليهن، وارتكبوا الفواحش في الجامع**"، وفقدوا كل معنى من معانى الإنسانية والشفقة والرحمة، إذ "**كان الواحد منهم يأخذ المرأة وعلى صدرها ولدها الرضيع فيأخذه ويضرب به الأرض ويأخذها ويمضى**"، وبعد هذه الأعمال الوحشية الهمجية التي صدرت منهم في حق أخوانهم المسلمين رجعوا إلى بلادهم(١٣٩).

وما أن سمع المنصور(١٤٠) صاحب حمص بتلك الأعمال الشنيعة التي قام بها الخوارزمية، حتى اخذته الحمية وقرر الدفاع عن حلب والانتقام منهم، رغم أنه كان في مقابلة الفرنج، وكان للمؤرخ المعاصر"ابن العديم" دور كبير في تعزيز قوات حلب، عندما طلب من الصالح إسماعيل فرقة مساندة للقوات المجتمعة بها، وذلك عندما أرسلته الصاحبة ضيفة خاتون في سفارة إلى أخيها الصالح إسماعيل لتحليفه لها، ولابن ابنها السلطان الناصر فحلف له الصالح إسماعيل وأرسل معه فرقة مساندة، وحتى لا تتشتت الجهود قامت الصاحبة "بإطلاق الأسرى الداوية الموجودين بحلب استكفاء لشرهم"، وحين سمع الخوارزمية بتجمع العساكر فيها لقتالهم بقيادة المنصور صاحب حمص أخذوا يتجمعون بحران وعزموا على مهاجمتها ومباغتتهم قبل أن يتم استكمال تجمع القوات الأيوبية بحلب، وعندئذ يضطرون إلى طلب الصلح منهم إلا أنهم عدلوا عن خطتهم تلك، وأثروا عدم الاصطدام بالأيوبيين بعد انفصال على بن حديثة عنهم وانضمام طاهر بن غنام ومن معه إلى القوات الأيوبية(١٤١).

تحركت الخوارزمية من حران في يوم الإثنين السادس عشر من شهر رجب سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م . وأخذ الخوارزمية يعيثون الفساد في البلدان التي يمرون عليها، ويحرقونها ويأخذون ما يقدرون عليه منها ومن هذه البلاد التي لحقها الضرر من القوات الخوارزمية(١٤٢)، وكان الملك المنصور صاحب حمص ينقل عسكره من مكان إلى مكان آخر تبعًا لتنقلات الخوارزمية، وعسكر

الخوارزمية لهم في تل عرن[١٤٣]، بينما كان يعسكر المنصور في بوشلا[١٤٤]، ومن أسوأ ما قامت به القوات الخوارزمية إحراقها "الأقوات التي في القرى وأخذهم ما قدروا عليه"[١٤٥].

وأصل الخوارزميين التدمير والنهب في البلدان الإسلامية فدخلوا كل من الصافية[١٤٦] وسرمين[١٤٧] ومعرة النعمان[١٤٨] وكفرطاب وشيزر[١٤٩]، التي اعتصم أهلها بالربض تحت القلعة فهاجمهم الخوارزمية وأطلق عليهم أهل القلعة الجروخ[١٥٠]، والحجارة التي أدت إلى قتل جماعة كثيرة منهم واضطر البقية إلى الخروج من الربض، وحاول المنصور صاحب حمص أن يقطع طريق العودة على الخوارزميين، إلا أنهم فطنوا لهذه الخطة فغيروا طريق عودتهم واتجهوا صوب حماة ولم يتعرضوا لهذه المدينة بأذى لأن صاحبها من أتباع الصالح أيوب صاحب مصر الذي يعتبر مسؤولًا عنهم حتى أنهم كانوا يبررون جميع أعمالهم تلك بأنها انتقام له من خصومة الحلبيين وصاحب حمص وصاحب دمشق[١٥١].

وسمح صاحب حماة لبعض الخوارزمية بالدخول إليها والتزود منها نكاية بالقوات الأيوبية التي يقودها المنصور صاحب حمص، وخرجوا من حماه وتوجهوا إلى سلمية[١٥٢] التابعة لصاحب حمص، ثم ساروا إلى الرصافة[١٥٣]، في الوقت الذي كانت قوات المنصور تلاحقهم لقطع الطريق عليهم[١٥٤]، وانقض عليهم جمع من العرب قرب الرصافة بعد أن تعبت خيولهم نتيجة لقلة الزاد والعلف ومواصلة السير بدون انقطاع، فعمدوا إلى التخفف من أثقالهم وغنائمهم التي جمعوها من البلدان،وفكوا جمعًا كثيرًا من الأسرى، وساروا مسرعين إلى الرقة حتى لا يقطع عليهم المنصور الطريق فوصلوا إلى الفرات مقابل الرقة يوم الإثنين خامس شعبان سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م، وفى الوقت نفسه كان المنصور في سباق مع الخوارزمية فوصل بعسكره إلى صفين[١٥٥]، ثم

انطلق منها مسرعًا ليسبقهم ويحول بينهم وبين الماء فلا يستطيعوا بذلك العبور إلى الشرق ولكنه وصل بعد فوات الأوان وتقدمت الخوارزمية عليه بساعة واحدة ووجدوهم قد إحتموا في بستان البليل واخذوا منها الأبواب وجعلوها ستائر وأداروا عليهم خندقًا[١٥٦].

ورغم تحصن الخوارزمية فإن المنصور استطاع أن ينتصر عليهم بعد أن استمر الصراع بينهم إلى العشاء وغنم منهم كثيرًا من الغنائم، ولم يستطع المنصور مواصلة القتال بسبب نقص المؤن، فعمت الفرحة حلب وغيرها من البلاد المتضررة من الخوارزمية وزينت حلب وضربت البشائر ووصلت أعلامهم وأسراهم إلى حلب، وصمدت قلعة حران عدة أيام ثم سلمت إلى الحلبيين وأخرج من كان بها من الأسرى من أمراء حلب وغيرهم [١٥٧].

دور الجنود الخوارزمية مع الملك الصالح ايوب:

بعد مقتل السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، في أثناء فراره أمام المغول، على يد أحد الأكراد في جهات ميافارقين' تفرق عسكره من الخوارزمية، ولم يكن في استطاعتهم العودة إلى مواطنهم بسبب سيطرة المغول عليها، فقصدت طائفة منهم حران فأوقع بهم الأمير صواب مقدم الملك الكامل بحران وقصدت طائفة أخرى سنجار والموصل وميافارقين' وغيرها من البلدان، وتخطفهم الملوك والرعية وطمع فيهم كل واحد حتى الفلاحون والأكراد وانتقم الله منهم على ما فعلوه بالمسلمين في خلاط وغيرها[١٥٨].

وفي ظل هذه الظروف الحرجة التي مرت بالقوات الخوارزمية أخذوا يعرضون خدماتهم على من يرغب من ملوك الإسلام لحمايتهم من تخطف الناس لهم وحصولهم على أكبر قدر من المال ليعيشوا به[١٥٩]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هذه القوات لم تكن تفكر في الإعداد لجهاد

المغول واسترجاع ملكهم السابق بدليل اشتراكهم مع القوات المتصارعة من المسلمين في بلاد الشام والجزيرة الذين كانوا زهاء عشرة آلاف مقاتل(١٦٠)، وأخذوا يعملون تحت إمرة عدد من الأمراء المقدمين، مرتزقة لمصلحة الملوك والحكام المتصارعين فيما بينهم في المنطقة من أيوبيين وسلاجقة الروم والأراتقة(١٦١) وغيرهم(١٦٢)، وقد تقوى وإستعان بهم الملك الصالح أيوب ولكي يتمكن من المحافظة على ممتلكاته، والوقوف بوجه أعدائه، أراد أن يحقق مع الخوارزمية تقاربًا أكثر، ويرتبط معهم برباط أقوى، ويضمن ولاءهم أكثر، فزوج أخته لأمه من مقدمهم حسام الدين بركة خان(١٦٣).

ومن الواضح أن وفاة الأشرف كانت إيذانًا بفتح مرحلة أخرى من تاريخ بني أيوب أشد قلقًا واضطرابًا من المرحلة السابقة، وهي ما يصح لنا أن نطلق عليها فترة الحروب الأهلية التي استنزفت كثيرًا من طاقات الأمة وقدراتها المادية والبشرية وبذلك فتحت الفرصة أمام الخوارزميين للمشاركة في هذه الحروب لتحقيق مصالحهم الشخصية(١٦٤).

فقد وقع الخلاف بين الملك الكامل وحلب سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م بسبب معارضة الأخيرة لسياسته في بلاد الشام، فأقدمت حلب على اتخاذ إجراءات احترازية، خشية من هجوم الملك الكامل عليها، وكان من بين تلك الإجراءات كسب جماعات من الخوارزمية إلى جانبها، غير أن الذي حدث هو وفاة الملك الكامل في مصر قبل أن يتحرك نحو بلاد الشام وحلب (١٦٥).

وكان أول عمل شارك فيه الخوارزمية والصالح أيوب في هذه الفترة هو المسير معه إلى سنجار١٦٦، حيث أمره والده وكان محاصرًا لدمشق بالتوجه إليها وضمها إلى مملكته، فسار الصالح أيوب بقواته الخوارزمية إلى سنجار فحاصرها وضيق الخناق عليها حتى اضطر ابن عمه المنصور بن الصالح إسماعيل إلا أن يسلمها بالإحسان، فتسلمها الصالح مع ما يتبعها من

البلاد[١٦٧]. فضلًا عن التحالف الذي أقامه سلطان الروم غياث الدين كيخسرو ضد الصالح أيوب، لتصفية مملكته في إقليم الجزيرة وبلاد الشرق [١٦٨].

لم يقف الخوارزمية من هذه الحوادث التي جرت بين ملوك بني أيوب بعد وفاة الكامل موقف المتفرج بل حاولوا أن يستثمروها لتحقيق مصالحهم الشخصية، فخرجوا عن طاعة الصالح أيوب وطمعوا فيه وهموا بالقبض عليه فسارع بالاعتصام بسنجار تاركًا خلفه أمواله وأشغاله فوقعت بأيدي الخوارزمية وتحكموا في البلاد الجزرية[١٦٩]، وأدى ذلك إلى طمع غياث الدين كيخسرو الثاني في أملاك الصالح أيوب وقسم مملكته على الملوك فأعطى صاحب حلب الناصر صلاح الدين الرها وسروج[١٧٠]، وأعطى المنصور ناصر الدين الأرتقي صاحب ماردين سنجار ونصيبين، وأعطى المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص وبعض بلاد الخابور، أما هو فقد عزم أن يكون من نصيبه آمد وسميساط[١٧١].

ولا نستبعد أن يكون خروج الخوارزمية على الصالح أيوب، ودخولهم في طاعة حاكم ماردين، بتأثير من الحلف المذكور، وبعد أن هرب الملك الصالح إلى سنجار، أراد أن يتقرب من حلب التي كان يحكمها الملك الناصر يوسف، في محاولة لاستغلال حسن علاقاتها بسلطنة الروم لإصلاح الحال بينهما، ولكن دون جدوى[١٧٢].

وكان بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل من جهته يراقب الوضع، وما آل إليه مصير الملك الصالح عن كثب، فوجدها فرصة مناسبة للنيل منه، وتوسيع حدود بلاده على حساب ممتلكاته[١٧٣]، فضلا عن كره بدر الدين لؤلؤ وتلك الجهات للملك الصالح لما كان ينسب إليه من التكبر، ولهذه الأسباب سار لؤلؤ إلى سنجار وحاصر الملك الصالح فيها، وأدرك الاخير صعوبة الموقف، والخطر الذي يهدد مملكته ومستقبله السياسي، فأقدم على مراسلة لؤلؤ، لغرض

تسوية الخلاف معه وعقد الصلح بينهما، غير أن لؤلؤ أصر على مواصلة الحصار إلى حين أسره، وحمله إلى بغداد(١٧٤)، ويبدو أنه كان يهدف من وراء ذلك التصريح إلى الحصول على تأييد الخلافة وموافقتها على تحقيق أهدافه، بالاستيلاء على تلك البلاد. وأمام إصرار بدر الدين لؤلؤ وعدم تجاوبه مع مبادرة الملك الصالح في إصلاح الحال بينهما، أقدم الأخير على تكليف ولده الملك المغيث عمر الذي كان بحصن كيفا(١٧٥)، بالمسير إلى حلب والاستنجاد بعمته ضيفة خاتون(١٧٦)، غير أن الخوارزمية ما أن سمعت بمسيره، وعبوره نهر الفرات، حتى تحركوا وحالوا بينه وبين حلب، واضطر الملك المغيث إلى العودة، وفي الطريق التقى بمبعوث والده بدر الدين السنجاري(١٧٧) قاضي سنجار، إلى سلطان سلاجقة الروم، فسار الاثنان معا في المهمة، وحاول الملك المغيث إقناع السلطان غياث الدين بالانتماء إليه والخطبة له في بلاده بعد والده في مقابل وقوفه إلى جانبهم ولكن دون جدوى(١٧٨).

ويبدو أن لجوء الملك الصالح إلى سلطان الروم دون الخوارزمية، كان سببه الخلاف العميق معهم، ولاشتطاطهم في الطلبات، لذلك لم يرجع إليهم إلا محاولة أخيرة منه لإنقاذ مستقبله السياسي، بعد أن سدت أمامه السبل كلها وتضايق كثيرًا في سنجار، فأمر قاضيه بدر الدين وابنه الملك المغيث بالتوجه إلى الخوارزمية وطلب مساعدتهم والتحاقهم به، فإجتمعا بهم في أطراف حران، ونجح بدر الدين في مهمته، إذ استمالهم بعد أن بذل لهم حران والرها وغيرهما، فتخلت الخوارزمية عن حاكم ماردين ودخلت مجددًا في طاعة الملك الصالح، وأقسموا له ولولده الملك المغيث، وتحركوا قاصدين سنجار، وعندما علم بدر الدين لؤلؤ بقربهم من سنجار، اضطر إلى فك الحصار عنها والانسحاب باتجاه الموصل غير أن الخوارزمية أدركته وأوقعت بقواته ونهبت معسكره، فعاد بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل منهزمًا، وهكذا تخلص الملك الصالح من ذلك المأزق

وتقوى بهم وارتفع شأنه[١٧٩]، واستطاع الصالح أيوب أن يستولى على كثير من البلاد التابعة للناصر داود بفضل مساعدة الجنود الخوارزمية كنابلس وأعمال القدس والأغوار والخليل وبيت جبريل والساحل والعريش وغيرها من البلاد وولى عليها من قبله وأمر بعض عسكره أن يتوجه إلى غزة استعدادًا لدخول مصر في الوقت الذي أخذ يعد نفسه للحاق بهم[١٨٠]، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل ببعلبك يطلب منه القدوم عليه ليذهب معه إلى مصر فتعلل عمه واعتذر بحجج واهية وأرسل ابنه المنصور نور الدين لينوب عنه في الخدمة، فوعده بأنه متى ما سنحت له الفرصة فإنه سوف يسارع للحاق به، وانطلت هذه الحيلة على الصالح أيوب فقد كان الصالح إسماعيل يعد نفسه لانتزاع دمشق منه[١٨١].

وخلاصة القول: فقد أسفرت الخلافات التي حصلت بين الملوك الأيوبيين من أجل السلطة، ورغبة كل منهم في توسيع دائرة نفوذه على حساب الآخر إلى استيلاء الملك الصالح إسماعيل علي دمشق، وأنتزاعها من الملك الصالح أيوب سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، واعتقال الأخير في الكرك[١٨٢]، من حاكمها وابن عمه الملك الناصر داود، وأصبحت الخوارزمية عنصرًا حاسمًا في توازنات القوى بين الملوك الأيوبيين المتنازعين في بلاد الشام، فاتصل بهم حاكم حماة المنظم إلى الملك الصالح ايوب، وكذلك الملك الناصر داود من جهته، مؤكدا لهم انه سوف يطلق سراح الصالح ايوب، ويطمعهم في بلاد خصومه الملك الصالح إسماعيل، ومن إنضم إليه ويدعوهم إلى مهاجمتها في حمص وحلب[١٨٣]، إذ كان الخوارزمية قد استفحل أمرهم وتعاظم خطرهم منذ سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م في بلاد الشرق، عندما فارق الملك الصالح أيوب تلك الجهات[١٨٤]، وانتهى به الأمر إلى الإعتقال في الكرك كما تقدم، فامتدت، أطماعهم إلى بلاد الجزيرة، واستولوا على عدد من المدن والقلاع فيها، وأخذت

البلاد المجاورة لهم تخشاهم[١٨٥]، وكان الخوارزمية من جهتهم يدعون أن ما يفعلونه هو خدمة للملك الصالح أيوب، لأن دمشق وحلب كانت متحالفة[١٨٦]، أي إن الخوارزمية اتخذوا من الخلافات الأيوبية ستارا ومسوغا لعدوانهم وجرائمهم، وتحت ضغطهم تحالفت الأطراف الثلاثة، ونجحت في إلحاق الهزيمة بهم قرب الرها في (رمضان/ سنة ٦٣٨هـ/ نيسان سنة ١٢٤٠م[١٨٧])، وأصبح الخوارزمية في عزلة عن القوى السياسية من حولهم بعد أن سلبت منهم جميع المناطق التي كانوا يسيطرون عليها مثل دارا ونصيبين وغيرهما، وبقوا بعد هزيمتهم تلك لا يجرؤون على دخول الشام، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وإنعدمت الأقوات فلم يجدوا إلا ما يحصلون عليه من السلب والنهب ولشدة الكربة[١٨٨]، وكتبت نهاية الجنود الخوارزمية بعد خروجهم على الملك الصالح أيوب لأنهم كانوا يفتقرون إلى الولاء التام، ولم يكن يهمهم من أمر تلك الصراعات غير المكاسب التي كانوا يتمتعون بها، وإنهم كانوا يتوقعون أن يحصلوا من الملك الصالح سلطان مصر على امتيازات ومكاسب مهمة بعد تحريرهم للقدس سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م من الصليبيين، فضلًا عن خدماتهم السابقة له ومواقفهم معه[١٨٩]، وقد ازداد طمعهم أكثر بعد الانتصار الذي حققوه على أعدائه في غزة، لذلك اعتقدوا بأنهم سوف يحصلون منه على الكثير، وأنه سوف يقاسهم مملكته، ويمنحهم اقطاعات واسعة حتى في مصر نفسها، غير أن الذي حصل كان مخيبا لكل ما توقعوه، ووعدهم به الملك الصالح، والأكثر من ذلك أنه لم يسمح لهم بالعبور إلى مصر، وبما أن الملك الصلح كان لا يزال محتاجا إليهم، ويدرك في الوقت نفسه ان الخطر الخوارزمي سلاح ذو حدين ومن الممكن أن ينقلبوا ضده[١٩٠]، لذلك أخذ في مداراتهم بالعهود والأماني، غير أن الحقيقة ظهرت لهم جليًا بعد الإستيلاء على دمشق مباشرة، فالإتفاق والصلح والمساومات التي تمت بشأنها، كانت من وراء ظهورهم، إذ لم

يعلموا عنها شيئا[١٩١]، بل لم يسمح لهم قائد جيش الملك الصالح معين بن الشيخ[١٩٢] حتى بدخول دمشق، فأدركوا أن ما قاموا به لأجل الملك الصالح كان صفقة خاسرة، لذلك خرجوا عليه، وأغاروا على أعمال دمشق، كما أنهم أستأنفوا مهاجمة دمشق سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م وبرفقتهم ألد أعداء الصالح أيوب وهو عمه الملك الصالح اسماعيل[١٩٣]، ودام الحصار عليها ثلاثة اشهر من غير أن يتمكنوا منها[١٩٤]، غير أن الملك الصالح أيوب تمكن من خلال حلفائه في بلاد الشام مثل الملك المنصور حاكم حمص من إلحاق هزيمة منكرة بالخوارزميين، واضعًا بذلك نهاية لدورهم في أحداث المنطقة، إذ لم تقم لهم بعدها قائمة[١٩٥].

ومهما كان من أمر فليس هناك أدنى شك في أن الخوارزميين كان لهم دور كبير في تطور العلاقات الصليبية الإسلامية في النصف الأول من القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي، فمن الواضح أنه لولا سياسة السلطان الخوارزمي ورغبته في تثبيت نفوذه وسلطانه على حساب الصراعات الدامية بين أمراء البيت الأيوبي في الشام.، ولولا تحالفه مع الملك المعظم صاحب دمشق لمساندته في صراعه ضد الملك الكامل، لتغير وجه التاريخ بالنسبة للعلاقات بين الصليبيين والمسلمين؛ لأنه ما كان هناك أي داع في الاتصالات السلمية والتي تمت بين صاحب مصر والإمبراطور فردريك[١٩٦]، وفي تلك الفترة وصلت سفارة من الإمبراطور فردريك الثاني إلى السلطان الكامل ردًا على سفارته تحمل معها الهدايا والتحف السنية فأحسن الكامل استقبالهم وبالغ في إكرامهم وحملهم حربة قيمة إلى الإمبراطور[١٩٧]. انطلقت هذه السفارة إلى دمشق وطلبت من المعظم بيت المقدس وجميع ما فتحه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل، فغضب المعظم وأعاد الرسول قائلًا له: "قل لصاحبك ما عندي إلا السيف"[١٩٨] واستغل الإمبراطور الفرصة، وبدأ بتجهيز

قواته استعدادًا للمسير إلى بلاد الشام، فبلغ ذلك المعظم الذي كان يدرك خطورة مجيئ حملة صليبية جديدة إلى بلاد الشام؛ فراسل أخاه الأشرف موسى ولاطفه وطلب منه مساعدته في التصدي لهذه الحملة، ولكن الأشرف لم ينس معاملة أخيه المعظم له بدمشق وتحريض جلال الدين منكبرتي لمهاجمة خلاط "فعنفه على أفعاله التي عامله بها وقرعه على ما اعتمده في حقه وحق أهله"(١٩٩).

ولربما الحملة الصليبية السادسة التي قادها فردريك قد اتخذت شكلًا مغايرًا عما تمت عليه، وفضلًا عن هذا ما كان الملك الكامل قد اضطر وهو بغير حاجة إلى تقديم مساعدة لفردريك الثاني والتفريط في حق المسلمين في بيت المقدس بتسليمه إلى الإمبراطور (٢٠٠)، فكان هذا السبب في الاستنجاد نشاط الخوارزميين في المنطقة، وهنا خاف الملك الكامل أن يدخل في صراع ضد الإمبراطور فيجد نفسه بين فكي كماشة، فالصليبيين بالشام من ناحية والقوات الخوارزمية المؤيدة لناصر داود ابن الملك المعظم من ناحية أخرى(٢٠١).

وعلى أية حال فيمكن القول بإن الجنود الخوارزمية كان لهم دور سلبي فى عدم مواجهة الأيوبيين للأخطار الخارجية فى آخر أيامهم، ويبرر البعض تقاعس الأيوبيين عن القيام بواجب الجهاد ضد الصليبيين واسترداد بيت المقدس وغيرها من البلاد الإسلامية بأن ذلك يعود إلى تخوفهم من الخوارزمية وغاراتهم المدمرة التي شنوها على كثير من البلدان الإسلامية وتخوفهم كذلك من المغول الذين تمكنوا فيما بعد من القضاء على الدولة الخوارزمية واستولوا على سائر ما كان بيد الخوارزمي من بلاد وأصبحوا بذلك على مقربة من أملاك الأيوبيين في الجزيرة(٢٠٢).

الخاتمة

-رجحت الدراسة بأن الخلافات بين الملوك الأيوبيين في (مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة)، قد أضعفتهم جميعًا، هذا من جهة، وفسحت المجال أمام قوى أخرى أن تستغل ذلك لمصلحتها من جهة أخرى، ومن هذه القوى الخوارزميون، الذين كان وجودهم طارئًا على المنطقة، بوصف ذلك نتيجة مباشرة لحركة التوسع المغولي، بعد أن دمر جنكيزخان دولتهم خلال سنتي ٦١٧-٦١٨هـ/ ١٢٢٠-١٢٢١م

- تميزت العلاقات بين الدولتين بأنها كانت لا تسير على وتيرة واحدة؛ فالأيوبيون كانوا ينظرون إلى الدولة الخوارزمية بأنها تشكّل حائط صدٍّ منيع أمام هجمات التتار، وخطرهم الداهم على المسلمين، وكانت الدولة الخوارزمية تستغل الانقسام بين أفراد البيت الأيوبي للسيطرة على كثير من المناطق الخاضعة تحت حكم الدولة الأيوبية.
- ساد الجمود في العلاقة بين بني أيوب والخوارزمية منذ إيفاد سفارة خوارزم شاه إلى الملك العادل إليهم، وذلك لانشغال الطرفين في مجابهة المشاكل التي اعترضتهما، فقد انشغل الخوارزمية في صد الغزو المغولي في حين انشغل بنو أيوب في الصراع فيما بينهم على السلطة بسبب وفاة العادل.
- لقد رمت سياسة جلال الدين إلى جعل الحكام المجاورين له يتخوفون منه، وأخذوا يبادرون بمراسلته، ومنهم سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ الذي أرسل رسله إلى جلال الدين، فلم يحسن استقبالهم، ما جعل علاء الدين كيقباذ يراسل الملك الكامل، ويطلب منه إرسال قواته إلى الشام.
- كان للعلاقات الدبلوماسية بين الدولتين من تبادل السفراء وغيرها أهمية بارزة في دراسة الأحوال السياسية والعلاقات الدولية التي سادت بين القوى

الإسلامية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ حيث كانت الأطماع السياسية المتمثلة في توسيع الحدود والممتلكات من أكبر الدوافع التي دعت إلى تشكيل التحزبات والأحلاف الدولية بهدف المحافظة على تلك الممتلكات، أو استرجاع ما فقد منها.

- دللت الدراسة على أن الجنود الخوارزمية كانوا يعملون مرتزقة، يدخلون في طاعة وخدمة من يدفع لهم عطاء أكثر أو اقطاعًا أوسع، وكانوا في حقيقة أمرهم مجردين من الاتجاهات الدينية، والنزعات العنصرية والإرتباطات الوطنية، أي الإرتباط بأرض معينة والدفاع عنها، لأنهم لم يكونوا من أهل تلك البلاد كل ذلك جعل من مواقفهم رجراجة يصعب التحكم فيها.
- ركزت الدراسة على الدور الذى لعبه الجنود الخوارزميون بعد وفاة السلطان جلال الدين للخوارزميين؛ حيث لعبوا دورًا بارزًا بالمشاركة في الصراع الدائر في بلاد الشام بين ملوك بني أيوب، كما كان لهم دور كبير في تغيير موازين القوى، وكانوا على استعداد للانضمام إلى أي قوى تمنحهم أكبر قدر من المال والإقطاعات الجزيلة، فلم تكن لهم أهداف سامية يسعون إلى تحقيقها، وإنما كان جل اهتمامهم السعي من أجل الحصول على ما يعيشون به.

الهوامش:

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، ١٩٧٢م، ص ص٨٣-٨٤.

(٢) **تنسب الدولة الخوارزمية:** إلى **أنو**شتكين الذي كان مملوكًا لأمير سلجوقي يدعى بلكباك، وقد اشتراه من رجل من غرشتان فكان يكنى بـ (أنوشتكين إذ كان يشغل وظيفة الساقي, تلك الوظيفة التي كانت رائجة في البلاطات الإسلامية ثم تدرج الوظائف في خدمة السلطان ملكشاه السلجوقي، ثم خلفه قطب الدين محمد بن انوشتكين الذي اشتهر بالعلم والأدب، لذا عينه بركيارق حاكمًا على خوارزم ولقبه خوارزم شاه. ينظر: ابن الأثير(أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق, الشيخ خليل مأمون شيحا، ٩ أجزاء, مطبعة دار المعرفة, (بيروت, لبنان, ٢٠٠٢)ج٨, ص٣٩٥؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي, ترجمة صلاح الدين عثمان, مطبعة شركة كاظمة, (الكويت, ١٩٨١، ص٤٧٢؛ شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها, ثلاثة أجزاء, دار العلم للملايين, ج١، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص٤٦٢؛ حافظ أحمد حمدي, الدولة الخوارزمية والمغول, مطبعة الإعتماد, القاهرة, ١٩٤٩، ص٢٥.

(٣) هو السلطان أبو الفتح ملشكاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سَلجُوق ابن دُقاق، المتوفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م انظر، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٨٣-٢٨٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص٣٩٣-٣٩٤؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص٤٧٢-٤٧٢.

(٥) أشارت معظم المصادر التاريخية إلى أن اسمه سنجر، واسمه الإسلامي أحمد حسبما جرت عليه العادة لدى سلاطين السلاجقة بان تكون لأبنائهم مسميات عربية إسلامية إلى جانب أسمائهم غير العربية، وكنيته أبو الحارث، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٣٧؛ جاء نسبه امتدادًا لنسب أبيه وجده بانتمائهم إلى الأسرة السلجوقية، التي حكمت المشرق الإسلامي، فهو السلطان السادس في السلالة السلجوقية أبو الحارث

سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وكان سنجر ملكا وسلطانًا عظيم الشأن مثل أبيه وجده، وكان مهيبًا كريمًا رفيقًا بالرعية مما جعل خراسان وما وراء النهر آمنة في زمانه اللهم إلا في السنوات الأخيرة من حكمه التي أعقبت أسره بعد هزيمته في معركة قطوان على يد الغز سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م، للمزيد راجع : سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٥١٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢٧ ؛ يحيي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، مخطوط رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القري، ١٩٩٣، ص١١

(٦)حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، مطبعة الاعتماد، القاهرة, ١٩٤٩, ص٢٥.

(٧) **أتسز**: كلمة تركية معناها من لا اسم له أي دون اسم، وكان ذلك بمثابة فأل حسن فكانوا يسمون به أحد أولادهم لإبعاد الشر عنه، انظر: النسوي، محمد بن أحمد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، سيرة السُلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، دم ١٩٥٣م , ص١١؛ أما أتسز بن محمد فقد ولد سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م وكان مطيعًا للسلطان السلجوقي سنجر، كان عادلًا محببًا إلى الرعية كان حسن السيرة، تعلل مرة بمرض الفالج فأعطى له علاجًا من غير استشارة الطبيب فاشتد الألم به، وضعفت قابليته حتى توفي سنة ٥٥١هـ /١١٥٦م، تولى أبنه أرسلان بن أتسز حكم الإمارة الخوارزمية بعد وفاته. انظر: سعاد هادي حسن، دراسات فى تاريخ الترك والمغول، دار ومكتبة عدنان، الطبعة الأولى، بغداد ٢٠١٥، ص١٣٩.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩, ص٩؛ بارتولد تركستان, ص٤٧٢-٤٧٣؛ حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية , ص٢٤-٢٥.

(٩) ابن الاثير، الكامل، جـ٨، ص ١٨٤

(١٠) حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٩.

(١١) جنكيز خان: طاغية التتار وسلطانهم الاعظم الذي خرب البلاد وأباد الأمم وهو الذي جيش الجيوش وخرج بهم من بادية الصين فدانت له المغول وعقدوا له عليهم وأطاعوه واسمه قبل الملك تموجين. مات على الكفر وكان من دهاة العالم وتوفي في شهر رمضان سنة ٦٢٤هـ، انظر الذهبي العبر، ج٣، ص١٩٢.

(١٢) بارتولد، تركستان، ص٦٢٥.

(١٣) نفسه, ص٦٢٥.

(١٤) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٩٣.

(١٥) نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية: نشأتها وعلاقتها مع الدول الإسلامية ونظمها العسكرية والإدارية، مطبعة الجامعة بغداد، ١٩٨٧م، ص١٥١.

(١٦) عابد بن عبد الرزاق بن عبدالله الغريبي، علاقة الدولة الخوارزمية بالقوى الإسلامية في بلاد الشام، رسالة ماجيستير مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القري،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦هـ، ص٤٦، وانظر كذلك: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر،١٩٨١م)، ص٤٧.

(١٧) البلاد الشرقية هي البلاد التي كانت تحت حكم الملك الأشرف مثل خلاط وميافارقين، وتشمل آمد وحصن كيفا وحران والرها والرقة وراس عين وسروج، وما انضم إلى ذلك، انظر ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص١٣٨.

(١٨) ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، حسين محمد ربيع، القاهرة، ١٩٧٧،ج٥ ص١٣٤.

(١٩) إقليم الجزيرة، سميت بالجزيرة لأنها تقع بين دجلة والفرات، وتشمل ديار ربيعة وديار مضر، الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، ليدن، ١٩٢٧م، ص٥١، وديار بكر، وتنتهي حدودها جنوبا عند الانبار وحديثة على نهر الفرات، وتكريت على دجلة، وشمالا إلى منابع النهرين دجلة والفرات. انظر: ابن حوقل (ابو القاسم النصيبي، ت ٣٦٧هـ).، ابو القاسم، صورة الارض، بيروت، د.ت، ص١٨٩.

(٢٠) سلطنة سلاجقة الروم، مؤسسها سليمان بن قتلمش تولاها سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) كانت عاصمتها قونية أحيانا وسيواس أحيان أخرى، وقد تفرعت عن الدولة السلجوقية، فوصلت إلى اوج توسعها في عهد سلطانها علاء الدين كيقبادلين بول، ستانلي، الدول الإسلامية، دمشق، ص١٦٤.

(٢١) علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن سلجوق كان ملكًا جليلًا شهمًا وافر العقل متسع الممالك. تزوج بابنة الملك العادل وامتدت أيامه توفى في سابع شوال. وكان فيه عدل وخير في الجملة، انظر الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٢٠.

(٢٢) أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، القاهرة، مطبعة دار الكتاب اللبناني، ج٣ ص١٥٩.

(٢٣) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ونصيبين. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٢.

(٢٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١٢ ص١٨٣: ص١٨٤، أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، تراجم رجال القرنيين السادس والسابع (الذيل على الروضتين)، وضع حواشيه وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٤٤.

(٢٥) السلطان بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الأرمني النوري الأتابكي مملوك السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل، وكان بطلًا شجاعًا حازمًا مدبرًا سائسًا جبارًا ظلومًا، ومع هذا فكان محببًا إلى الرعية، فيه كرم ورئاسة. انظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٥٦-٣٦٦.

(٢٦) حران، مدينة مشهورة في اقليم الجزيرة، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرهايوم، وبينها بين الرقة يومان، وتقع على طريق الموصل والشام وبلاد الروم. ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ص٢٣٥

(٢٧) دنيسر: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان ولها اسم آخر يقال لها توج حصار، انظر ياقوت معجم البلدان وانظر كى لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٦.

(٢٨) هو أبو سعيد كوكبورى ابن الامير زين الدين على بن كوجك التركماني ولى مملكة إربل سنة ٥٦٣هـ، كان من أدين الملوك وأجودهم، توفى في رمضان سنة ٦٣٠ هـ، انظر الذهبي، العبر ج٣، ص٢٠٨.

(٢٩) ابن الأثير: الكامل ج٢ – ص١٨٤، جب: صلاح الدين ٢١٤.

(٣٠) ميافارقين: أشهر مدينة في ديار بكر من إقليم الجزيرة، ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٦، ج٥، ص٢٣٥.

(٣١) ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) (ت ٦٩٧هـ)، مفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء، تحقيق محمد حسنين ربيع، مراجعة سعيد عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة، ١٩٧٧م، ج٤، ص١٧٥.

(٣٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص١٩٠. خلاط مدينة مشهورة كبيرة تشكل قصبة بلاد أرمينية، تحتوي على خيرات كثيرة وأهلها مسلمون ونصارى، يحيط بها سور كبير، ومن أعمالها خلاط وانى وسطان، وأرجيش والقزويني، زكريا بن محمّد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٥٢٤.

(٣٣) النسوي، محمد بن أحمد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، سيرة السُّلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، دم ١٩٥٣م، ص٢٧٨؛ وابن واصل، مفرّج الكروب، ج٤، ص١٩٠-١٩١.

(٣٤) مسعود بن الملك الصالح الأرتقي: ملك آمد (٦١٩-٦٢٩هـ/١٢٢٣-١٢٣٢م)، دخل في طاعة سُلطان بلاد الروم علاء الدين كيقباذ، ثم عدل عنه وصار مع الملك الناصر الأيوبي، قيل إنه كان ظالمًا للرعيّة فشكاه أهلُ آمد للملك الكامل الأيوبي صاحب مصر، فأخذ منه جميع البلاد، وحمله إلى مصر، وأقطعه بها إقطاعات جليلة انظر: منجم باشي: أحمد بن لطف الله (ت ١١١٣هـ/١٧٠٢م)، جامع الدول تاريخ السلاجقة ملوك الروم من آل سلجوق والذيل في فروع السلاجقة، مجلَّدان، تركيا، أزمير، دار الكتب الأكاديمية، ٢٠٠٠م، مج٢، ص١٥٦.

(٣٥) ابن واصل مفرِّج الكروب، ج٤، ص٢٠٢-٢٠٣؛ والدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)، الجزء السابع، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٧، ص٣٠٢.

(٣٦) ابن واصل مفرّج الكروب، ج٤، ص٢٠٢-٢٠٣، وانظر: منجم باشي، جامع الدول، مج٢، ص٥٦.

(٣٧) سهيل محمد طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٢م، ص٢٦٢.

(٣٨) الجويني، تاريخ فاتح العالم، ج٢، ص٧٣.

٣٩) ارزنجان، إحدى مدن أرمينية بين سيواس وأرزن الروم وبينها وبين كل من المدينتين أربعون فرسخًا، وكان غالب أهلها من الأرمن وفيها مسلمون وتسمى أيضًا أرزنكان. انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٥٧

(٤٠) ارزن الروم: مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة وكانت من عمر نواحي أرمينية. انظر ياقوت، شهاب الدين بن عبد االله الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٦، ج٥، ص٢٣٥.

(٤١) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٣١٧-٣١٨.

(٤٢) حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢١٣.

(٤٣) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٣١٨.

(٤٤) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٣١٨-٣١٩.

(٤٥) ابن نظيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي (ت نحو ٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان: التاريخ المنصوري، تحقيق أبو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش، دمشق، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية، ١٩٨١م،، ص١٩٨-١٩٧.

(٤٦) محمد بن تكش السلطان الكبير علاء الدين. كان ملكًا جليلًا أصيلًا واسع الممالك كثير الحروب ذا جبروت وغور ودهاء، تسلطن بعد والده علاء الدين تكش ولم يقهر إلا من التتار، مات سنة ٦١٧ هـ – انظر الذهبي العبر، ج٣، ص١٧٥.

(٤٧) نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية، ص١٥١.

(٤٨) سبط ابن الجوزي، المظفر بن يوسف بن قزأوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد الركن، الهند، ١٩٥٢م، ج٨، ق٢، ص٣٨٧

(٤٩) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي الخوارزمية. ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٥٠) هو جمال الدين خطيب جامع دمشق وهو منسوب إلى الدولعية قرية على باب الموصل في طريق الذاهب إلى الموصل من جهة نصيبين انظر ابن واصل مفرج الكروب، ج٥، ص٤٥

(٥١) همذان : سميت بهمذان بن الفلّوج ابن سام بن نوح، عليه السّلام، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة، ووجد في بعض كتب السريانيين في أخبار الملوك

والبلدان: إن الذي بنى همذان يقال له كرميس بن حليمون، فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٤ من الهجرة، انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠

(٥٢) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج١، ص٢٩٩، ٣٠٠.

(٥٣) أبو شامة: ذيل الروضتين: ١٠٩-١١٠.

(٥٤) الملك المعظم: هو الملك المعظم بن العادل بن أبي بكر بن أيوب، تولى ديار المصرية والشامية، كان استقلاله بملك دمشق، وكان شجاعا عاقلا فاضلا. اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكانت وفاته في ذي قعدة سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٩م، وتولى ملك دمشق بعده ابنه الناصر داود بعد مبايعه الأمراء له. انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية في التاريخ، بيروت، ب ت، ج١٣، ص٢٧٦٠.

(٥٥) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج١٠، ص٩٤ وما بعدها.

(٥٦) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٣٦م، ج ٦، ص٢٥٥.

(٥٧) ابو شامة: ذيل الروضتين: ١٣١-١٣٢.

(٥٨) السَّمَرْمَرُ: طائر يشبه السُّمانى، أسود اللون، ينهزم الجراد من صوته.
انظر المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، ٢٠٠٤م، الطبعة الرابعة، ص٤٤٨.

(٥٩) أبو شامة: ذيل الروضتين، ج١، ص٣٤٩.

(٦٠) أبو شامة: ذيل الروضتين، ج١، ص٣٤٩.

(٦١) حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ١٤٠٣هـ-١٩٧٣م، ص١٠٨.

(٦٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٣٢-١٣١، الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت٨٧٦هـ)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشيد، بغداد، ١٩٧٨م، ص٣١٠.

(٦٣) نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية، ص١٥٣.

(٦٤) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ مجلدات، عُني بنشره وتحقيقه سامي الدهان، دمشق مطبوعات المعهد الفرنسي، ١٩٦٨م، ج٣، ص٩٤١.

(٦٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص١٣٧، أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٣٤.

(٦٦) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤م ج١ ق٢، ص٣٣٩.

– نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص١٥٤.

(٦٧) العبود: الدولة الخوارزمية ص١٥٠، أبو شامة: ذيل الروضتين، ١٤٧–١٤٨.

(٦٨) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج١، ص٣٧٧.

(٦٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٠٥.

(٧٠) الكرج: جماعة من المسيحيين الذين كانوا يسكنون في جبال القبق (القوقاز) وقويت شوكتهم حتى ملكوا تفليس من المسلمين سنة ٥١٥هـ، ولم يزالوا متملكين لها إلى أن أغار عليهم جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢١هـ، واسترد تفليس منهم. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٩٢، حاشية ١.

(٧١) أزبك بن البهلوان : صاحب اذربيجان، وقد استفحل أمره بعد قتله لطغرل آخر سلاطين السلاجقة، وامتدت أيامه، وكان منهمكًا فى الشرب والملذات، وقتل عددصا من الخوارزمية .انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٩٠.

(٧٢) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٢٠٠–١٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٥٩.

(٧٣) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٢١٢–٢١١.

(٧٤) محيى الدين بن الجوزى : وُلِدَ فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ ثَمَانِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.، وَدَرَّسَ، وَأَفتَى، وَنَاظر، وَتَصَدَّرَ لِلْفقه، وَوعظَ. وَكَانَ صَدْرًا كَبِيْرًا، وَافر الجَلاَلَةِ، ذَا سَمْتٍ وَهَيْبَةٍ وَعبَارَةٍ فَصيحَةٍ، رُوسِلَ بِهِ إِلَى المُلُوْك، وَبلغ أَعْلَى المَرَاتِبِ، وَكَانَ مَحْمُوْد الطَّرِيقَة مُحبًّا إِلَى الرَّعِيَّةِ انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢١٩.

(٧٥) أبو شامة، الروضتين، ص ١٤٧.

(٧٦) نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص١٥٥، ١٥٦.

(٧٧) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج١، ص٣٨٦.

(٧٨) أبو شامة، ذيل الروضتين، ص٣٨٦.

(٧٩) النجم خليل الحموي : ولي قضاء العسكر للملك العادل أبي بكر بن أيوب، وخدم المعظم وأرسله، ودرس في دمشق بالريحانية، وناب عن الرفيع في القضاء، وتوفي في

شهر ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين وستمائة. انظر: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ت ١٠١٠هـ، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ج١، ص٢٧٤.

(٨٠) نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية، ص١٥٦.

(٨١) عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، مصر، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧م، ص٢٥٨.

(٨٢) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٣٤٤.

(٨٣) عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٥٨.

(٨٤) حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢١٤، ٢١٥.

(٨٥) نافع توفيق العبود: الدولة الخوارزمية، ص١٦٧.

(٨٦) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٣٧٢.

(٨٧) عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٦٤.

(٨٨) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٣٧٢.

(٨٩) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٣٧٣.

(٩٠) عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٦٥.

(٩١) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٣٧٤.

(٩٢) حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري، ص١٠٩.

(٩٣) سبط ابن الجوزي، المظفر بن يوسف بن قزأوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد الركن، الهند، ١٩٥٢م، ج٨، ق٢، ص٦٦٩؛ وابن واصل، مفرّج الكروب، ج٤، ص١٧٩–١٨٠؛

(٩٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص١٤٦، المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢١٦.

(٩٥) ابن واصل مفرّج الكروب، ج٤، ص٢٠٧.

(٩٦) خوى: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه. انظر ياقوت، معجم البلدان،ج١، ص٢٥٩

(٩٧) نخجوان: تقع شمال نهر أرس وهى من أعمال أذربيجان، وهى بلدة كبيرة بالقرب منها ناحية الشرق قلعة النجف، وفى الشمال جبل خارب فى الفضاء يقال له "ماست كورة "، انظر : كي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٠١.

(٩٨) النسوي، سيرة جلال الدين، ص٢٧١-٢٧٤؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٤٨١ وابن واصل، مفرج الكروب ج ٤، ص٢٠٧-٢٠٨؛ والذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٨م، حوادث (٦٢١-٦٣٠هـ)، طبقة ٦٣، ص١٣٧.

(٩٩) هو الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى الأيوبي، ولد بدمشق فى جمادي الآخرة سنة ٦٠٣هـ /١٢٠٧م وهو أكبر أولاد المعظم عيسى، وكان يلقب بالحاكم داود، وكان فاضلًا ناظمًا للشعر ناثرًا، وكان فقهيًّا حنفيًّا ذكيًّا، وقد وصفه المؤرخ الكبير ابن واصل بأنه جيد المناظرة صحيح الذهن. للمزيد، راجع إبراهيم فرغلي محمد، الناصر داود صاحب الكرك ودوره فى النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية، مجلة كلية الآداب جامعة بنى سويف، العدد ٤٥، ٢٠١٧، ص١٧-١٨.

(١٠٠) محمد يونس فلح: الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلاقته بالقوى السياسة ٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع ١٣، جامعة موصل، العراق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٧.

(١٠١) ابن واصل: مفرج الكروب ج٤ ص٢٤٠.

(١٠٢) النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٢٧١ وما يليها.

(١٠٣) قامت زوجة السلطان جلال الدين منكبرتي -ابنة السلطان طغرل السلجوقي- باستدعاء الحاجب حسام الدين على ووعدته بتسليمه اذربيجان كي تنتقم من زوجها السلطان بسبب إهماله لما فعله جيشه مع أهل خلاط.

- انظر النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٢٥٩ عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٥٣ .

(١٠٤) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٢٧٧، ٢٧٨؛ عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٥٣.

(١٠٥) عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٥٣.

(١٠٦) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٢٩٩.

(١٠٧) عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٥٤.

(١٠٨) ابن واصل: مفرج الكروب ج٤ ص٢٩٦.

(١٠٩) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج٦: ٣٢١.

(١١٠) سبط بن الجوزي: مرأة الزمان ج٤ – ٤٧٩.

(١١١) عطا ملك جويني: تاريخ جها نكشاي: ج٢–١٧٧ (مطبعة بريل ليدن).

(١١٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج٤ – ٢٩٨.

١١٣) سيواس: أنشأها السلطان علاء الدين محمد وشيدها بالحجارة، وهي مدينة حسنة، واسعة الشوارع وأسواقها عاجة بالناس.انظر: لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٧٩، ١٨٠.

(١١٤) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٨، ج٤ – ٤١٤–٤١٥.

(١١٥) سبط بن الجوزي: مرأة الزمان ج٤ – ٤٨٠.

(١١٦) ابن خلكان: وفيلت الاعيان ج٤ – ٤١٤: ٤١٥.

(١١٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٢.

(١١٨) هو السلطان توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب، كان آخر سلاطين الدولة الأيوبية، بمقتله نشأت دولة جديدة هى دولة المماليك، كان أديبًا فقيهًا عالمًا عاقلًا محبًّا لمجالسة العلماء ومناظرتهم. للمزيد: راجع : تركي بن فهد آل سعود، شخصية السلطان الأيوبي الملك المعظم توران شاه : تقييم للمصادر، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، العدد الثالث، مجلد ٤١، ٢٠١٥، ص١١٠

(١١٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٩–٢٥٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ص٢٨٢.

(١٢٠) الرقة : واسطة بلاد مضر علي حد إجماع المصادر الجغرافية الاخري، وباعتبارها كانت مركزا رئيسيا للتجارة والتجار في اقليمي الفرات الأوسط والأعلى، وكان يفد إليها التجار والتجارة من كل أنحاء العراق وخارج العراق، بل إنها كانت معبرا رئيسيا لتجارة بلاد الرافدين الداخلية والخارجية، إلا أنه يلاحظ أن المصادر المتاحة لدينا التي تناولت تاريخ هذه المدينة كانت تذكرها بشكل عارض خلال تعرضها لتاريخ إقليم الجزيرة الفراتية

وبلاد الشام عبر العصور الاسلامية، وجاءت روايات المصادر عنها في شكل شذرات وروايات متفرقة ومتناثرة في بطون المصادر الاسلامية والمسيحية والسريانية. وأكدت هذه الروايات علي الدور الفعال والمؤثر لأمراء أو حكام الرقة في الأحداث التي دارت رحاها في كل من شمال الشام وإقليمي الفرات الأوسط والأعلى كما كانت بمثابة المحور الرئيسي ونقطة ارتكاز جميع الجيوش الاسلامية القادمة من شمال الشام والعابرة الفرات الأوسط للسيطرة علي مدن وقلاع إقليمي الفرات الاوسط والأعلى خاصة في العصرين الزنكي والايوبي. انظر صلاح الدين نوار، مدينة الرقة من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزنكيين: دراسة تاريخية حضارية، حولية الاتحاد العام للاثاريين العرب، العدد١٥، المجلد ١٥، ٢٠١٢، ص١٣٦٥.

(١٢١) نهر بوجيار: لم يعرف مكان هذا النهر في المعاجم المتوفرة، انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٠، حاشية ٢.

(١٢٢) بزاعا: بلدة أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينهما وبين كل واحدة منها من مرحلة وفيها مياه وعيون جارية وأسواق حسنة، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٩٧

(١٢٣) قلعة جعبر: تقع على الفرات مقابل صفين، وكانت تعرف باسم دوسر فتملكها رجل من بنى نمير يقال له جعير بن مالك فغلب عليها فسميت به انظر ياقوت معجم البلدان، ج٤، ص١٥٢

(١٢٤) شيزر : قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن، تعد في كورة حمص. انظر ابن العديم زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٦، حاشية ١.

(١٢٥) حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية، وهي من أعمال حلب، انظر ياقوت، معجم البلدان.

(١٢٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٠.

(١٢٧) نهر الذهب: يزعم أهل حلب أنه نهر وادي بطنان الذي يمر ببزاعة، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٧.

(١٢٨) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٣٨.

(١٢٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٣

(١٣٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٩-٢٥١، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٣-٢٨٤

(١٣١) حيلان قرية من قرى حلب تخرج منها عين فواره كثيرة الماء تسيح إلى حلب وتدخل إليها في قناة وتتفرق إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص١٤٩

(١٣٢) قافين قرية معروفة قرب حلب، انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥١، حاشية ٤.

(١٣٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥١، ابن واصل، زبدة الحلب، ج٥، ص٢٨٤، أبو الفدا، المختصر، ج٣، ص١٦٨.

(١٣٤) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة شمال حلب أهلها نصارى أرمن. برج الرصاص: قلعة ولها رساتيق من أعمال حلب قرب أنطاكية، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٥٢٨.

(١٣٥) بلد الحوار: قرب العمق انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٢، حاشية ١.

(١٣٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٥.

(١٣٧) بزاعا: بلدة أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينهما وبين كل واحدة منها من مرحلة وفيها مياه وعيون جارية وأسواق حسنة، انظر ياقوت، معجم البلدان. والباب: يعرف باب بزاعا بليدة من اعمال حلب، انظر أبو الفدا، إسماعيل بن محمد بن عمر، عماد الدين (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان دار صادر، بيروت، دت، ص٣٨١.

(١٣٨) منبج: بلد قديم أول من بناها كسرى لما غلب على الشام، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٦.

(١٣٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٢-٢٥٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٥-٢٨٦.

(١٤٠) هو الملك المنصور، ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير. كان الملك المنصور بطلًا شجاعًا مُتواضعًا، عاليَ الهمة، وافر الهيبةِ. كان في بدايةِ أمرِه موافقًا للمَلِك الصالح إسماعيلَ ومُصاهِرًا له، توفي الملك المنصورُ بدمشق في يوم الأربعاء حاديَ عشر صفر حيث كان يريد المسيرَ إلى مصر داخلًا في طاعة الصالحِ نجمِ الدين صاحب مصر بعد ما جرى بينهم من الخلافِ والحربِ، ثمَّ حُمِلَ في تابوت إلى حمص ودُفِنَ هناك، وكانت سلطنتُه ست سنين ونصفًا، وقام بعده على حمص ولَدُه الأشرف موسى .انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٩.

(١٤١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٤-٢٥٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٨.

(١٤٢) الفايا: قرية من عمل المعرة وصفها ابن الشحنة في الدر المنتخب ص٣٥ إلى "القانا" انظر ابن العديم المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٥، حاشية ١. دير حافر: قرية بين حلب وبالس. الجيول: قرية كبيرة إلى جنب ملاحة حلب، انظر ياقوت، معجم البلدان. النقرة: على بعد مرحلة واحدة من معرة النعمان انظر ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٢، حاشية ٦.

(١٤٣) تل عرن: يقال لها تل أعرن وهي قرية كبيرة جامعة من نواحي حلب، انظر ياقوت، معجم البلدان.

(١٤٤) بوشلا: لم يعرف موقعها بالضبط، انظر ابن العديم زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٥، حاشية ٣.

(١٤٥) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٥ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٩،عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٨١.

(١٤٦) الصافية: بلدة كانت قرب دير قنّى في أواخر النهروان قرب النعمانية، خرج منها جماعة من الكتَّاب الأعيان أصحاب الدواوين الجليلة، كانت مشرفة على دجلة وقد خربت مع خراب النهروان. انظر: ياقوت، معجم البلدان،ج٣، ص٣٨٩.

(١٤٧) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب، قيل: إنها سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، وقد ذكر الميداني في كتاب الأمثال أن سرمين هي مدينة سدوم التي يضرب بقاضيها المثل .انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٥.

(١٤٨) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٤.

(١٤٩) كفر طاب: تقع بين المعرة وحلب انظر ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٦، حاشية ١.

(١٥٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٥-٢٥٦، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٨٩-٢٩٠.

(١٥١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٥-٢٥٦.

١٥٢) سلمية: بلدة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين على الأقدام. انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠.

(١٥٣) الرصافة: هي رصافة هشام بن عبدالملك تقع في غربي الرقة، انظر ياقوت، معجم البلدان،ج٣، ص١٢٧.

(١٥٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٦ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٩١.

(١٥٥) صفين: قرب الرقة وعندها الواقعة المشهورة باسمها، ابن العديم،زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٧، حاشية ١.

(١٥٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٥٦-٢٥٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٩٢-٢٩١ .

(١٥٧) دارا: بلدة من بلاد الجزيرة بين نصيبين وماردين، انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨.

(١٥٨) ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٦م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ٣ أجزاء، الجزء الثالث/ القسم الثاني، تحقيق يحيى عبادة، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٧م، ص٤٦٣.

(١٥٩) نافع العبود، الدولة الخوارزمية، ص١٩٦، عفاف صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٧١،

(١٦٠) ابن العبري، غريغورس، تاريخ الدول السرياني، ترجمة، إسحاق ارملة السرياني، مجلة المشرق، بيروت، السنة التاسعة والأربعون، ١٩٥٥م، ص٧٣٧.

(١٦١) الأراتقة،: نسبة إلى مؤسسها أرتق بن أكسك، أحد قادة الجيش السلجوقي،

(ت٤٨٤هـ/١٠٩١م) وجاء من بعده أبناؤه، وحكموا ديار بكر وحصن كيفا وآمد وخرتبرت ومارديـن. لين بول، الدول الإسلامية، ص ٣٥١-٣٥٢، وللزيادة عنهم انظر: عماد الدين خليل، الامارات الأرتقية في الجزيرة والشام ٤٦٥-٨١٢هـ/١٠٧٢-١٤٠٩م، بيروت، ١٩٨٠م.

(١٦٢) سبط ابن الجوزي، مر'ة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨ ق٢ ص ص٦٩٥-٦٩٦.

(١٦٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٥، ص١٩٧، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص٢٨٠.

(١٦٤) على عوده، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ص١٤٧.

(١٦٥) ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، ص١٨٠.

(١٦٦) سنجار، مدينة مشهورة في إقليم الجزيرة، بينها وبين الموصل مسيرة ثلاثة أيام. ياقوت، معجم البلدان، ج٣ ص٢٦٢.

(١٦٧) اليونيني، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٤، ج٢، ص٣٣٢.؛ عفاف صيرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص٢٧٣.

(١٦٨) ابن العديم زبدة حلب، ج٣، ص ص ٣٤١-٣٤٢.

(١٦٩) ابن واصل،مفرج الكروب، ج٥، ص١٧٩-١٧٨، ابن العديم زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢، المقريزي السلوك، ج١، ق ٢، ص٢٦٩-٢٧٠.

(١٧٠) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر، منبج: بلد قديم أول من بناها كسرى لما غلب على الشام، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٥.

(١٧١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٥-١٨٦، ابن العبري، غريغورس بن هارون، أبو الفرج الملطي جمال الدين (ت ٦٨٥-١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق أرملة، تقديم، جان موريس دار المشرق، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٧١.

(١٧٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٧٩؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٢.

(١٧٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٧، اليونيني، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، حيدر اباد الدكن، ١٩٥٤، ج٢ ص٣٣٢.

(١٧٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٠٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦ ص٢٩٩.

(١٧٥) حصن كيفا، بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ص٢٦٥.

(١٧٦) المقريزي، السلوك، ج١ ق٢، ص٢٧١.

(١٧٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان أنباء أبناء هذا الزمان، ص ٢٢٦، ٢٦٦.

(١٧٨) ابن شداد، النوادر، ج٣ ق١، ص١٩٩-٢٠١.

(١٧٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥ ص ص ١٨٥-١٨٩.

(١٨٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢١٦، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٨٣.

(١٨١) ابن واصل، مفرج الكروب، جه، ص٢١٦.

(١٨٢) الكرك، قلعة حصينة في طرف الشام بين أيلة والبحر الأحمر والقدس. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٣.

(١٨٣) ابن واصل مفرج الكروب، ج٥، ص ص ٢٤٨-٢٤٩، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ص ٢٩٢-٢٩٣.

(١٨٤) ابن الوردي (زين الدين عمر، ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي (المسمى تتمة المختصر في اخبار البشر)، القاهرة، ١٨٨٦، ج٢، ص١٧٠.

(١٨٥) ابن العديم: زبدة حلب، ج٣، ص٢٤٨، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٧٩.

(١٨٦) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٠٣.

(١٨٧) ابن العديم زبدة حلب، ج٣، ص ص ٢٥٥-٢٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ص ٢٨٩-٢٩٤.

(١٨٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦٠.

(١٨٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٤.

(١٩٠) هارولد لامب، شعلة الاسلام، ترجمة محمود عبد الله يعقوب، بغداد ١٩٧٦م، ص٤٦٧.

(١٩١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٥٣،

(١٩٢) معين بن الشيخ : قدم في الدولة الكاملية، وعظم شأنه في الدولة الصالحية. ووزر للملك الصالح، وقدم دمشق بالجيوش المصرية وبالخوارزمية، وحاصرها وتسلمها من الصالح إسماعيل، ومرض بالإسهال والدم، ومات سنة ثلاث وأربعين وستمائة في الثاني

والعشرين من شهر رمضان، وله نيف وخمسون سنة. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧١

(١٩٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ص ٧٥٣-٧٥٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ص ٣٥٢-٣٥٣.

(١٩٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٢.

(١٩٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣٥٩.

(١٩٦) نجوى كمال طبرة، الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، زهراء الشرق، القاهرة مصر، ٢٠٠٧م، ص٣٨١.

(١٩٧) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ستة أجزاء،، ج١، ق ١، (القاهرة: دار الحكمة للطباعة والنشر، ص٢٢٣ .

(١٩٨) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ج٨، ص٦٤٣؛ ص٢١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٢٦.

(١٩٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٢٠٧، أبو البركات الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣١١ .

(٢٠٠) سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية (الحملة الصليبية السادسة)، ج٣٤، د.د.ن، دمشق سوريا، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٣٧١.

(٢٠١) موسى مصطفى الهيستياني، الخوارزمية عامل قوة أم عنصر ضعف بين بلاد الشام وإقليم الجزيرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ليبيا، ٢٠٠٦م، ص٧.

(٢٠٢) سعيد عاشور الحركة الصليبية، ص٩٨١-٩٨٣ .